مجلة جامعة عمران **04** (2024) ص 001

جماليَّاتُ البِنَاءِ اللُّغَويِّ في البَسْمَلَةِ (قراءةٌ أسلوبيَّةٌ معاصرة)

محسن محمد يحي العرشاني*

قسم اللغة العربية، كلية التربية ارحب، جامعة صنعاء، اليمن

الملخَّص

يتحرَّكُ هذا البَحْث في مساحةِ البِنَاءِ اللُّغَوي للبَسْمَلَة؛ عبر مستوياتها الصَّوتيَّة والصَّرفيَّة والنَّحويَّة، التي تُشكِّل الجزءَ الأكبرَ من معمارِها اللُّغويِّ، مُتَّكِئًا على مُعطياتِ الدرس اللغويِّ الحديث، والإحصاء التوزيعيِّ الدقيق؛ لصوامت البَسْمَلَة، وصوائتها، ومقاطعِها، ومورفيماتها (تصريفاتها)، ونبرها وتنغيمها، وانسجامها الصوتي إمالةً، وإدغامًا، وترقيقًا، وتفخيمًا، ووقفًا، ونحتًا، ومدًّا، وجماليَّات انزياحاتها الإملائيَّة والصَّرفيَّة والتركيبيَّة؛ لرسم صورة جليَّة عن جوّ البَسْمَلَة الهادئ المتوسِّل، الجانحِ نحو الكسرة، والخِفّةِ، والإمالةِ، والاستفالِ، والوضوح السمعي، والسهولة النطقيَّة، والإيقاع الموسيقي، والحركة التوليدية التداولية المرنة، والاقتصاد اللغوي. وقد حتمتْ طبيعةُ البحثِ أن يتوزّعَ على مُقدمةٍ، وعشرةِ مباحثَ، وخاتمة. حيث اشتملت **المقدمة** التعريف بالبحث، وأهميته، وأهدافه، وأسباب اختياره. **أما المبحث الأول، الثاني، الثالث والرابع فقد** تمَّ فيها كشف النِّقابِ عن جماليَّاتِ البِناءِ الصوتيِّ والمقطعي في البَسْمَلَة. **وفي المبحث الخامس، والسادس، والسابع**؛ اتجه البحث فيها صوب إماطة اللثام عن البناء الصرفيِّ في البَسْمَلَة باشتقاقه، ومورفيماته، ونحته التداولي. في حين جاءت **المباحث الثلاثة الأخيرة**؛ لتزيحَ السِّتار عن حركة البَسْمَلَة التوليدية النشطة من الناحية التصريفية، والتركيبيّة، والكتابيّة؛ من حذفٍ وزيادةٍ وترتيبٍ وتلازُمٍ وقطع... وأخيراً ختم البحث بخاتمةٍ تضمنت أهم النتائج المتَوصَّل إليها.

الكلمات الاستدلالية: الصَّوت، المقْطع، الانسجام، المورفيم، النَّحت، التلازُم.

Abstract: This research moves in the area of linguistic construction of the Basmala (i.e., by the name of Allah). Through its phonetic, morphological, and grammatical levels, which constitute the largest part of its linguistic architecture, relying on the data of modern linguistic studies and accurate distributional statistics. The research was divided into 10 sections. The introduction included an introduction to the research, its importance, its objectives, and the reasons for choosing it. As for the first, second, third, and fourth sections, the aesthetics of the phonetic and syllabic structure in the Basmalah were shown. In the fifth, sixth, and seventh sections, research was conducted on concluded with the most important results which obtained by this research.

المقدمة

(البَسْمَلَة) فاتحة الخير، وتمام النِّعمة، ومُفتتح القرآن، ومُستهلّ الأعمالِ والأقوال، وأعظم آيات القرآن، وأكثرها تداوليَّة؛ فرائحتُها الزكيَّة تنبعثُ في كلِّ مُفْتتَح، وتدوِّي في كلِّ مُنْعَطف، عَرَكتْها اللغة، وتداولتْها الألسن، وتعاورتْها القواعد الصَّرفيَّة والنَّحويَّة والفقهية والإملائية، وتناقلها الشعراء والخطباء والبلغاء، وتراسل بها الكُتَّاب، ورُكِّبَت عليها الحِكَمُ والأمثال، وعجمتها الأيام، وأَلِفَها السمع، واستأنس بها الخاطر، فموقعها المتقدِّم لا يدانيه موقع، فلا غرابة أن تُشَدَّ إليها الرِّحال، وتطوف حولها العقول، وتتبارى في ميدانها أقلام الباحثين قديمًا وحديثًا؛ يستظلّونُ بظلِّ كلماتها الوارف بالأسرار العقدية، والقِيَم الدينيَّة، والأصول الاشتقاقيّة، والتنوُّع الإعرابي؛ ولم تتبوأ هذا الموقع؛ إلا لدلالاتها العميقة في معناها ومبناها، وبنيتها العميقة والسطحية، وتكوينها المترابط والمتَّسق حذفًا وزيادةً وترتيبًا وتلازمًا وانسجامًا؛ وفي وسط هذا الزحام سَنُدْلي بدلونا؛ بعيونٍ أسلوبيةٍ معاصرة؛ لخدمة القصد المفاهيمي المتكامل للبَسْمَلَة، وكشف النقاب عن بعض خصوصيّاتها النادرة، وإيحاءاتها المتفرِّدة، في مستوياتها الصَّوتيَّة والصَّرفيَّة والنَّحويَّة والإملائيَّة؛ التي تؤدي دورًا وظيفيًّا توليديًا، لم يألْفُه النَّمط اللُّغوي المعتاد؛ للوصول إلى هدفٍ أعلى من التفسيرات

*Email: abuyahya2011@gmail.com

©Amran University Publishing

اللُّغوية الظاهرة؛ وفق رؤيةٍ ألسنيَّةٍ جديدة، قد تبدو مستغربةً مع ما ألفناه من قواعدَ رتيبة؛ لكنها منسجِمةٌ مع معنى البَسْمَلَة، وبنيتها التحتية الأخلاقية والسلوكية؛ لأن القرآن لكل زمان ومكان.

أهميَّة البحث

تكْمُنُ أهميَّة البحث في موضوعه، وهو كشف البنية العميقة لمبنى البَسْمَلَة ومعناها، ولعلّ الأهمية الكبرى تأتي من ندرة استخدم التطبيقات الألسنية المعاصرة، والاستفادة منها في تراثنا.

أسبابُ اختيار البحث

حرصت على تسليط الضوء على الدراسات اللغوية المعاصرة، وتطبيقها على بعض النماذج القرآنية الأرقى بلاغةً وبيانًا، وأثناء تدريسي لطلابي أثارَ انتباهي جنوح البَسْمَلَة نحو الجرِّ بكسرته الإعرابية في كلماتها الأربع، والاستشهاد بها؛ لبيان أنواع الجرِّ الثلاثة، ثم استهلالها بباءٍ مكسورةٍ بنائيًا، وختامها بميمٍ مكسورة إعرابيًا، وهما حرفان شفويان مغلقان؛ بإطباق الشفتين، عزّز هذا خلوّ أصواتها من الضمّة، وحروف الاستعلاء والإطباق، فكان هذا حافزًا قويًّا؛ لاختيار البَسْمَلَة، واستعراض معمارِها اللُّغَوي الأسلوبي؛ لاستجلاء التلاؤم بين مبناها ومعناها.

منهج البحث

استند البحث على المنهج الوصفي التحليلي، يرافقه المنهج البنيوي الأسلوبي؛ من خلال الإحصاء ثم الوصف ثم التحليل؛ لقضايا البَسْمَلَة اللُّغويَّة صوتيًّا وصرفيًّا ونحويًّا.

أهدافُ البحثِ

يهدف البحث إلى:

أولًا: إحصاءُ العناصرِ الصَّوتيَّة للبَسْمَلَة، وكشف جماليَّاتها التشْكيلِية.

ثانيًا: إحصاءُ المقاطع الصَّوتيَّة، وإبرازُ جوانبِ الإيقاع المقطعيّ للبَسْمَلَة.

ثالثًا: كشف جماليات الانسجام الصوتي، إمالة وإدغامًا ومدًّا ووقفًا.

رابعًا: إحصاءُ الجوانبِ الصَّرفيَّة، والقرائن الاشتقاقية المورفيميَّة والنحتيَّة، ودلالاتها.

خامسًا: إحصاء الانزياحات الإملائية والصَّرفيَّة والتركيبية، ودلالاتها.

توطئةٌ إحصائِيَّةٌ

وقبل الدخول في البحث، إليكم لوحةً إحصائيةً لصوامتِ البَسْمَلَة وصوائتها ومقاطعها ومورفيماتها؛ نسترشد بها في ثنايا البحث؛ لتسهيل السير في قضاياه، والغوص في مباحثه.

جدول رقم (1): إحصاء أهم العناصر الصوتية للبَسْمَلَة.

الصوامت	الصوائت	المقاطع	المورفيمات
18	12	9	17

وقبل الولوج في عالم البَسْمَلَة، فقد حاولت أن أجمع طيفًا لُغويًّا جميلًا وجديدًا ومتعدِّدًا، في أصوات البَسْمَلَة، ومقاطعها، ومورفيماتها، وانسجامها الإيقاعي، ونحتها التداولي، وتلازماتها النَّحويَّة، وقراءاتها القرآنية، بطريقة علميَّة

إحصائيَّة معتمدًا على الألسنيَّة، وهي: «العلم الذي يدرس اللُّغة دراسةً علميَّةً تقومُ على الوصف ومعاينة الوقائع؛ بعيدًا عن النَّزعة التَّعليميَّة، والأحكام المعيارية» (قدور، 1999، 11)، على النحو التالي:

المبحث الأول: جماليَّاتُ البناء الصَّوتِي في البَسْمَلَة

بنى اللُّغويُّون أحكامهم الصَّوتيَّة على السهولة والخفة، والضعف والقوة؛ ولذا نلحظ انزياحهم لأصواتٍ معيَّنة، وتركهم لأصوات أخرى.

ويُعَدُّ الخليل بن أحمد؛ أول من أشار إلى القيمة التعبيرية للأصوات، ومدى اتفاق دقة المعنى مع جرس الحرف المختار، عند اختياره اسم (العين) اسمًا لأول معاجم العربية، وهو اختيار وقع بعد موازنة دقيقة؛ لأحرف اللغة الأخرى؛ حتى (الضاد)، وكأنَّه يلمِّح في ترجيحاته؛ أنَّ مسمَّى (لغة العين) للعربية؛ أولى من (لغة الضاد)؛ لتعليلاتٍ ليس هذا مكانها، وهو أول من سمّى صوت الحرف (جرسًا) (الفراهيدي، د.ت. 20/1)، ثم أورد ابن جنّي أربعة أبواب، منها: مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، وتصاقب الألفاظ؛ لتصاقب المعاني، وغيرها (ابن جني، 1987، 255/1)، أما الألسنيَّة الحديثة؛ فاهتمت كثيرًا بهذا الجانب، وأطلقت عليه (الدلالة الصوتية) (أنيس، 1963، 259)، وبهذا يتقاسم قدماءُ اللغويين ومتأخِّروهم؛ أهمية توظيف كلّ ما يمتلكه الصوت اللغوي من قدرات تصويرية وتنغيمية؛ لبلوغ أعمق مواطن التأثير في المتلقِّي؛ ولم يعنِهِم من كلِّ حرف أنَّه صوت ذو خصائص معينة فقط، وإنما عناهم من صوت هذا الحرف أنه معبِّرٌ عن غرضٍ ما، وأن هناك علاقة وثيقة بين حركات الجهاز النطقي عند تكوين الصوت، وبين قيمته التعبيرية، واستخراج هذه القيم الدلالية بحاجة إلى إحصاء شامل واستقصاء دقيق؛ لأن اختلاف الصوامت كمًّا وكيفًا، والصوائت طولاً وقِصَرًا، يؤدي إلى اختلاف المعنى، وهذا ما سندركُه في العمليَّة التحليليَّة لأصوات البَسْمَلَة، عددًا وصفةً ومخرجًا:

جدول رقم (2): إحصاء صوامت البَسْمَلَة، وصفاتها ومخارجها

الصّامت	مكان وروده	عدده	مخرجه وصفته
الباء	بِسْمِ	1	شفويٌّ مجهورٌ انفجاريٌّ(شديد) مُسْتفِلٌ
السِّين	بِسْمِ	1	أسنانيٌّ لثويٌّ مهموسٌ رخوٌ مُنفتحٌ صفيريٌّ مُسْتفِلٌ
الميْم	بِسْمِ/الرَّحمَن/الرَّحِيْم	3	أنفيٌّ شفويٌّ مجهورٌ متوسِّطٌ مُسْتفِلٌ
اللام	الله	2	أسليٌّ ذلقيٌّ مجهورٌ متوسِّطٌ مُسْتفِلٌ
الألف	الله	2	جوفيٌّ هوائيٌّ مجهورٌ مُستفلٌ
الهاء	الله	1	حلقيٌّ مهموسٌ رخوٌ مُسْتفِلٌ
الرَّاء	الرَّحمَن/الرَّحِيْم.	4	ذلقيٌّ مكرَّرٌ مجهورٌ متوسِّطٌ مفخّم مُسْتفِلٌ
الحاء	رحمن/ رحيم	2	حلقيٌّ مهموسٌ رخوٌ مُسْتفِلٌ
الياء	رحيم	1	جوفيٌّ هوائيٌّ مجهورٌ مُستفلٌ
النُّون	رحمن	1	أنفيٌّ مجهورٌ متوسِّطٌ مُسْتفِلٌ
مجموع الصوامت: (18) صامتًا			

جدول رقم (3): إحصاء الصوائت في البسملة

مجموع الصوائت	الصائت	كسرة قصيرة	كسرة طويلة	فتحة قصيرة	فتحة طويلة
(12)	عدده	5	1	4	4

نستخلص من الجدولين السابقين رقم (2) و (3)، ما يلي:

أولًا: اشتمال البَسْمَلَةِ على (4) كلماتٍ، هي: (بِسْمِ/ اللهِ/ الرَّحْمَنِ/ الرَّحِيمِ)، وكلها مكسورة إعرابيًّا.

ثانيًا: اشتمال البَسْمَلَة على (18) صوتًا منطوقًا، و(19) حرفًا مكتوبًا، كما اشتملت على (12) صائتًا؛ بواقع (6) للكسرة بنوعيها، و(6) للفتحة بنوعيها، منزاحةً نحو الكسرة ثم الفتحة، وخلوّها تمامًا من الضمة بنوعيها.

ثالثًا: اكتساح أصوات البَسْمَلَة المجهورة (ب/م/ل/ا/ر/ن/ي)، بواقع (14) صوتًا، مقابل (44) أصواتٍ؛ لنظيراتها المهموسة (س/ه/ح)، أمَّا أصواتُ الاسْتفالِ؛ فقد سيطرت بشكلٍ كليّ، وغابت أصواتُ الاستعلاء، وطَغت الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة (م/ل/ر/ن)، بواقع (10) مقابل (4) أصوات؛ لنظائرها الاحتكاكية الرخوة (س /ه /ح)، كما اشتملت على (4) أصوات مفخَّمة، وهي الرَّاء المشدَّدة في موضعين، وهذا الإحصاء الموزون له دلالاتُه، وإيحاءاتُه، وخصائصُه.

جماليَّات الحركة الصوتية للبَسْمَلَة: إنَّ البَسْمَلَة قد انسجمت مع أصواتها انسجامًا عجيبًا رائعًا، ونحاول أن نذكر بعض معاني أصوات البسملة؛ للتدليل على عظمتها والتي لا يجوز لأحد منَّا أن يتصرف في أصواتها أو يبدِّلها، ونقف مع أصوات البَسْمَلَة، وإيحاءاتها، في النقاط الآتية:

أولًا: الباء، ودلالاتها: تشعَّب الباحثون في الحديث عن الباء، نحويًا وصوتيًا ودلاليًا وقرآنيًا، وقُصَارى القول: إنَّ (البـاء) من الأصوات الصامتة المجهورة الشَّفويَّة الانفجاريَّة، حاملًا وظائف متعددة؛ بعضها إيمائيٌّ تمثيليٌّ، وبعضها إيحائيٌّ (عباس، حسن،1998،74)، وله نظمٌ طبيعيٌّ ونسقٌ ترتيبيٌّ؛ فالباء صوتٌ افتتاحيٌّ للبَسْمَلَة؛ والبسملة مفتاح البدايات كلها، بها نستهلُّ القرآن، ونبتدئ به الأعمال والأقوال، وبالباء كانت البدايات الأولى لنشأة اللغة؛ فأول ما ينطقه الطفل بعد المناغاة هو البأبأة؛ ببائها السهلة، كما يصرح اللغويون، وسبقهم جميعًا الجاحظ (الجاحظ، 1985، 54)؛ يرافقه في السهولة الميم؛ لأنَّ مخرجهما إلى الهواء من الشفتين، في النسق الأول من الجهاز النطقي، ومن لطائف البَسْمَلَة استهلالها بالباء، وختامها بالميم، الصوتان المشتركان بين كل اللغات، فكلاهما حرفان شفويان سهلا النطق؛ طيِّعا المخرج؛ ولذا يسارع الطفل إلى البأبأة والمأمأة، ومن الطفل اشتقَّت اللغات لفظ بابا ماما؛ فالباء والميم يمثِّلان (الأبوّة) و(الأمومة) للأحرف كلها؛ لأنهما من مبدأ الفم حسًا ونطقًا، واتحادهما مع البَسْمَلَة بمبدأ الفم؛ منحهما المناسبة بينهما في أدقِّ مبانيها، وأرفع معانيها؛ ليمثلا البداية في كلِّ شيء، ويُشكِّلا حصنًا مغلقًا، وسورًا منيعًا؛ من أيِّ اختراق غير اسم الله وحده حصرًا وقطعًا؛ ومما عزز سموَّ البَسْمَلَةَ وعلوّها وقوَّتها، ما تحملُه الباء من صفاتٍ سامية؛ كالجهر والشدة والقلقلة والاستفال والانفتاح والإذلاق، فلا غرابة أن تأتي في مستهلِّ البَسْمَلَة؛ لتوحي بمعنى الاتساع والامتداد والارتفاع؛ يقول العلايلي: "الباء لبلوغ المعنى، وللقوام الصلب بالتفعُّل" (العلايلي، 1968، 62)، وأسند إليه الأرسوزي معاني (البيان والانبثاق والظهور والسيلان) (الأرسوزي، 1987)، وهي

صحيحة؛ لتوافقها مع خاصية الانفجار في صوتها، أمّا عباس حسن فقد ربط بين خاصية الانفجار، وبين أكثر من (50) مصدراً جذرياً تبدأ بالباء، وما توحيه في النفس من من إيحاءات (الحفر والبقر والشق والبعج) (عباس، حسن،1998،101).

ومن اللطائف الممنوحة للباء؛ تعدُّد معانيها عند النحاة، بين الاستعانة، والتبرك، والمصاحبة، والملابسة، والإلصاق، والابتداء، والظرفية، والسببية.

وفي هذا التعدُّد لفتة بلاغية؛ فالباء هو الصوت الوحيد الذي يستطيع أن يؤدي المعاني السابقة جميعًا؛ لأنها تتواءم وتنسجم مع معاني البَسْمَلَة الصَّوتيَّة والدلالية؛ فالإلصاق؛ لخروجها ملتصقة بالشفتين؛ فشاكلت كل عمل يلتصلق بالبَسْمَلَة مستعينًا، ومبتدئًا؛ ومصاحبًا، ومتبركًا؛ لملابستها جميع أجزاء الفعل (الزمخشري، 2003، 420/1).

وقد استعار الحُكَّام والملوك معاني (الباء) في مستهلِّ خطاباتهم؛ لإضفاء شرعيّتهم (باسم الشعب)؛ فكأنَّهم يقولون نحن وكلاء ملتصقون ومصاحبون وملتبسون بشعبنا؛ نستمد منه البركة الدعم والتأييد والاستعانة.

وأخيرًا، فإني استشفُّ؛ لاستهلال البسملة بالباء، دلالات جديدة، تضاف إلى ما ذكره الباحثون، أهمها:

1. جنوح البَسْمَلَة نحو الكسر والجر؛ لأن الكسر يتلاءم مع انكسار المتوسّل لمن توسّل له، والجرّ لمن انجرّ إليه؛ ففي البَسْمَلَة **سبعُ** كسراتٍ (ست كسرات إذا وقفنا على ميم (رحيم)، وسبع كسرات إذا وصلناها بما بعدها؛ لأنها نعت تابع لمجرور)؛ و**أربعٌ** منها كسراتُ إعرابٍ في كلِّ كلمات البَسْمَلَة، **وكسرتان** بنائيتان في باء(بِسْمِ)، وحاء(رحِيمِ)، **وكسرةٌ طويلةٌ**؛ في (ياء) (الرحيم)، عزَّ ذلك استهلال البَسْمَلَة بـ(باءٍ) مكسورٍ بنائيًا، وختامها بـ(ميم) مجرورٍ إعرابيًا.
2. جنوح البَسْمَلَة نحو الإغلاق، لحصر التوسُّلِّ، وقصره (بسم الله) لا غير، بدليل افتتاحها بباء شفوي مغلق، وختامها بميمٍ شفوي يدلّان على السد والإغلاق والضمنية، يقول شوقي حمادة: "الميم تدل على الانغلاق والضمنية، (مصَّ، وشمَّ، وضمَّ، ولمَّ، وطمَّ، وجَمَع)، وأضاف: أن لفظ الفم جاء من فاء الفتح، وميم الغلق" (حمادة، 2003، 24).
3. دلالة (الباء والميم) على البدايات؛ لسهولتهما، واشتراك اللغات فيهما؛ فمنهما بداية نشأة اللغة؛ ومنهما اشتُقَّ أقرب شخصين (بابا وماما)، وبهما بدأت وانتهت البَسْمَلَة؛ أقرب آية إلى القلب والوجدان، إذن فجوُّ البَسْمَلَة كلُّه جوُّ كسرٍ مغلق هادئ متصدر؛ وهذا الجو ستتردد علينا سحائبه في كل منعطفات البَسْمَلَة البحثية.

ثانيًا: توظيف السِّين في البَسْمَلَة: الإنسان في حضرة الذات الإلهية في تضرُّعه وتوسُّله يستعمل أصوات اللين الهامسة، وتوظيف صوت السين المهموس المرقَّق في البَسْمَلَة دلالةٌ على التقدير والإجلال؛ لأن المقامَ مقامُ تضرعٍ إلى رحمته، ورهبةٍ من مقامه، ورغبةٍ في عونه، فضلًا عن أن صوت السِّين؛ صبغ البَسْمَلَة بملمحٍ موسيقيٍّ متميزٍ؛ لأنَّه من الأحرف الصفيريَّة، فصوتُه المتماسك يوحي بإحساسٍ لمسيٍّ بين النّعومة والملاسة، وبإحساسٍ بصريٍّ بين الانزلاق والامتداد، وبإحساسٍ سمعيٍّ أقرب للصفير، وهو من الأصوات التي لاحظها الناس في أصوات أنفاسهم؛ فجعلوها في بعض الألفاظ المرتبطة بهذه الأنفاس كـ(نَفسَ، همس، حَسَّ) (للاستزادة: علّوم نعيم، 1993).

والوسوسة صوتٌ قريبٌ من النفس؛ لدلالة السين على الشيء المتحرك بانسيابية ولُطف(س س س س)؛ فتوظيفُ صوتٍ هامسٍ صفيريّ ساكن؛ يأخذ بيد القارئ؛ ليلج عالم البَسْمَلَة الهادئ، مستكشفًا شبكة العلاقات الصياغية، موضّحًا علاقة الصوت بالتركيب، فأغلب الكلمات السينية تدلُّ على السهولة والليونة والانسيابية (سهولة، سلاسة، سلام، سِلْم، مسالمة، سكوت، انسيابية، سر، سرور، سعد وسعيد وسعاد)، بينما أغلب الكلمات الصادية فيها استعلاء وقوة (صعب، صارم، صلب، صاخَّة، صريع، صرير، صقيع، صكوك، صميل..إلخ)، ولذا جاءت السين في البَسْمَلَة؛ لتتواءم مع معناها الذي يتطلب من العبد السكينة والسلاسة والاستسلام؛ للتوسل بـ(اسم الله).

ثالثًا: سرُّ تلازمِ (الألف المدِّية واللام) مع لفظ الجلالة: إن المخارج الملكيَّة؛ جُمعت في لفظ الجلالة ملك الأسماء، وكانت من خصائصه، التي أعطت للبَسْمَلَة تفردًا وتميزًا؛ لأنه محور ارتكاز البَسْمَلَة وعمودها؛ فلا بُدَّ من الوقوف المتأني عند أصواته ودلالاتها، فـ(الله) لفظ سهل في نطقه يخرج من الجوف، ولا تنطق به الشّفاه لخلوّه من النّقط، وهنا نضيف أسرارًا تتعلق بدلالة الألف المدِّية واللام والهاء، وهو أن الألف في منطوقه دالٌّ على الامتداد المكانية والزماني الأفقي والرأسي المنفصل مثل: باب، سماء، كافة، واللام دالٌّ على شدة القرب والالتصاق الأفقي؛ فالألف أعطت لفظ الجلالة استقلالًا وانفرادًا منفصلًا عن غيره؛ لأنه أعرف المعارف؛ لا يشبهه شيء، ولا يختلط بغيره، كما منحته امتدادًا زمانيًا ومكانيًّا ورأسيًا وأفقيًا، ثم إن **(الله)** شديد القرب والالتصاق، بل أقرب من حبل الوريد؛ فجاءت **(اللام)** حاملةً لصفة الالتصاق والتماسك؛ بما يتوافق مع مخرجها بالتصاق اللسان بأول سقف الحنك، معززةً بلامٍ زائدة؛ مغايرةً بالزيادة غيرها من الكلمات في الرسم الإملائي المعياري؛ لتعزيز خصوصية قربه والتصاقه وتفرده سبحانه شكلًا ومضمونًا؛ فزيادة المبنى تدعم زيادة المعنى.

ومثلما جاءت (الألف) المدِّية في وسطه، جاءت (همزة) في أوله (تسقط نطقًا عند الوصل)، و(هاء) في آخره؛ تنطقها كل اللغات بالفطرة؛ والإيحاء الجميل إن الهمزة والهاء؛ يشتركان في مخرجيهما من أقصى الحلق قريبًا من القلب؛ في إيحاء أن محل لفظ الجلالة ينبغي أن يخالط شغاف القلب والضمير والحس والشعور.

ولابن فورك الأصبهاني (هو أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك، صاحب التصنيفات الكثيرة ت406 هـ. انظر: ابن خلكان، د.ت، 272/4) رأيٌّ لطيفٌ في لفظ الجلالة، نقله ابن قيِّم الجوزية؛ بقوله: "الحكمة في وجود الألف (الهمزة) في أول (الله)؛ أنها من أقصى مخارج الصوت، قريبًا من القلب؛ الذي هو محل المعرفة به سبحانه، ثم الهاء في آخر لفظ الجلالة (الله) ومخرجها من هناك أيضًا (الجوزية، د.ت، 316/1)، ثم إنّ اجتماع الهمزة في أوله والهاء في آخره؛ يمنح مفاجأة للخلق في الفعل؛ كمن يقف على مكانٍ مرتفع؛ فيلفت الانتباه بهاء التنبيه، ولكن الفرق بينهما: إن الهاء شعورية، والهمزة بصرية عيانية واضحة.

وقد ذهب محمد مرمدوك بكثال في تفسيره للقرآن الكريم، مذهبًا خاصًا في نقل لفظ الجلالة (الله) إلى الإنجليزية؛ فقد لاحظ أن كلمة **(god)** التي يُترجم لفظ الجلالة عادة بها؛ بدون الألف واللام والهاء، لا تثير في نفس القارئ الإنجليزي ما يثيره لفظ الجلالة في ذهن القارئ العربي؛ فهي في الإنجليزية تؤنث بـ**(goddess)**؛ وتجمع على **(gods)**، أمَّا كلمة (الله)؛ بألفها ولامها وهائها، فليس لها مثنى ولا جمع ولا مؤنث؛ لأنه الله لا شريك له سبحانه، إذن فالتصور الذي تشير إليه كلمة (الله) بأصواتها تصورٌ يقضي على الشرك، أمَّا الكلمة **(god)** فليست كذلك،

ولم يجد بكثال في الإنجليزية كلمة تقابل الكلمة (الله) في العربية؛ فاحتفظ بالكلمة (الله) في الإنجليزية على حالها:(**allah**) (السعران،1992،270).

وما قلناه في ألف لفظ الجلالة ينطبق على ألف (الرحمن)، فالألف أعطته صفة التفرُّد والاستقلال في إنعامه، وهذا لا يصْدُق على غيره؛ ولهذا فـ(الرحمن) خاصٌّ بالله، لا يجوز أن يطلق على غيره مطلقًا؛ ثم تعزَّزت الألف بـ(حاء) الاحتواء والإحاطة، وهي صوتٌ حلقيٌّ مهموسٌ رخوٌ مُسْتفِلٌ، ثم (ميم) الضمِّ واللمِّ والجمع، وأخيرًا (نون) الرقَّة والأناقة؛ وهي صوت أنفيٌّ مجهورٌ متوسِّطٌ مُسْتفِلٌ؛ لتعزيز قربه واتصاله ورحمته بخلقه.

وملحظٌ أخيرٌ هو أن الألف الوسطي في اسمَيْ: (الله/الرحمن)؛ تؤدي دورها الدلالي نطقًا ممتدًا مستقلًا؛ لكنها تؤدي إلى التجزئة الشكلية، والبعثرة في الكتابة؛ لأنها من حروف الفصل (اللاه/الرحمان)؛ وهذا يتعارض مع أحدية الله، وصمديته؛ ورحمانيته؛ التي لا تتجزأ ولا تتعدد؛ ولا تنفصل عنه إلى غيره مطلقًا، فحذفت في الكتابة من دون النطق؛ لتبقى أسماء الله متصلة؛ بدون ألف فاصلة؛ وهكذا تجلَّى لنا في ألف لفظ الجلالة ولامها وهائها، ومصاحباتها؛ بيانًا شافيًا؛ لهذه الإيحاءات والأسرار الجميلة.

رابعًا: تلاؤم صوائت البَسْمَلَة مع معناها الممتدِّ زمانًا ومكانًا: لاحظنا في جدول إحصاء الأصوات خلوَّ البَسْمَلَة من الضمَّة قصيرها وطويلها؛ لكنها اشتملت على حركتي الكسرة والفتحة، بنوعيها القصيرة والطويلة، فقد وردتا بعددٍ متماثل، بواقع (6) للكسرة؛ إذا وقفنا بالسكون على رأس البَسْمَلَة، وإلَّا فهي (7) كسرات، و(6) للفتحة، وهذا يحمل إيحاءً لطيفًا، وسرًّا جميلًا، ينسجم مع معنى البَسْمَلَة؛ فهما من أسهل الحركاتِ نطقًا؛ لأنّ الجهد المبذول؛ لإنتاج الصائت، أكبر من الجهد المبذول لإنتاج الصامت، كما أنهما تدعمان إيماءات الهدوء والتفاؤل، وتبعثان على اللُّطف والاطمئنان؛ وهو جنوح البَسْمَلَة نحو الكسرة والخفة والسهولة؛ فقد ورودت الكسرة الإعرابية في كل كلماتها، وخصوصًا الكلمات المحورية؛ وهي (اللهِ/الرحمنِ/الرحيمِ)، والإعراب لا يكون إلا لمعنى، ثم تعززت الكسرة الإعرابية؛ بكسرة طويلة (**الياء**) في اسم الله (**الرحيْم**)، والياء الساكنة، إذا تحرك ما قبلها بالكسر؛ فإنها تعطينا صورة الحفرة العميقة والوادي السحيق (عمِيْق، رحِيْم..)؛ لتكشف عما في صميمها من خصائصها المتأصِّلة، فـ(الرَّحِيْم) مثلاً هو الذي تفجَّرت ينابيع الرحمة في صميمه، فليست رحمةً طارئةً، بل أصيلةٌ من الصميم، ثم تعزّز الموقف بمجيء الفتحة قصيرها وطويلها في البَسْمَلَة؛ فجاءت الفتحة الطويلة (**الألف**) في وسط الكلمتين المركزيتين (الله/الرحمن) والألف عندما تقع في الوسط؛ فإنها تمنح الكلمة خاصية الامتداد في المكان والزمان، ولسانُ حالِ المُبَسْمِلِ يقول: ياربِّ إني منكسِرٌ، أمام عظمتك الممتدّة زمانًا ومكانًا، **فافتح** لي أبواب فضلك يافتَّاح... ومن هنا نلمح الحكمة في **خلوِّ البَسْمَلَة من الضمَّة** قصيرها وطويلها؛ لتعارضها مع معنى البَسْمَلَة، وصورة المُبَسْمِلِ المنكسر المتوسل؛ فليس لائقًا أن تستهلَّ عملك بـ(**الضمة**) علامة الرفع؛ لأن الرفع علامة القوة والعظمة والترفع والاستعلاء؛ أما **الاستعاذة**؛ فقد استهلت الاستعاذة بالضمَّة الطويلة والقصيرة في أول كلماتها (**أعُوْذُ**)؛ لتنسجمَ مع المستعيذ المُترفِّع المُتبرئ من الشيطان وكيده وخبثه، بعكس البَسْمَلَة المنْكسرِ صاحبها لله رب العالمين.

خامسًا: جماليّات رسم ملامح البَسْمَة في(بِسْمِ): إن (**بِسْمِ**) ترسم ملامح الـ(**بسمة**) على وجه قائلها؛ لاشتراكهما في (الباء والسين والميم ببائها)، وصفات هذه الأحرف ومخارجها؛ تُبرز التلاؤم المتطابق بين ملامح وجه المتلفِّظ

بـ(بِسْمِ)، والـ(بسمة) الحقيقية، **فمن ناحية الصفات**؛ فحروف (بِسْمِ)، تشترك مع الـ(بسمة) في خاصِّيتين ضروريتين؛ لإبراز ملامح البسمة، وهما: الاسْتِفال والانْفِتاح، **ومن ناحية المخارج**؛ فلفظ **(بِسْمِ)** بحروفه؛ ما هو إلا حركاتٌ لعضلاتِ الوجهِ واللسان والجهازِ التنفسي، وكذلك الـ**(بَسْمَة)** ما هي إلا حركاتٌ لعضلات الوجه والجهاز التنفسي، فالأوامر التي تصدر من العقل؛ تعطي حركات ترتسم على الوجه أثناء اللفظ بـ(بِسْمِ)، هي نفسها التي ترتسم على الوجه؛ لإظهار (البسمة).

فالبـاء: يتميز مخرجها الشفوي، بانبثاق وظهور الشفتين، بعد التصاقهما وانطباقهما، وعندما ينوي الإنسان التبسُّم تنفرج شفتاه، بعد أن كانتا ملتصقتين؛ فإطباق الشفتين ثم فتحهما؛ يرسم على الوجه ملامح وتقاطيع؛ تشبه تمامًا ملامح الـ(بَسْمة).

أما السِّين: فعند التأمل في حركات مخرج سين (بِسْمِ) الساكن الصفيري، ممّا بين رأس اللسان وبين صفحتي التثنيتين، مع التقاء الأسنان، وإطباقها وظهورها، والشفتان مفتوحتان مع جريان الهواء؛ وهي حركات تمنح أبرز مكوناتِ البَسْمَة وملامحها على الوجه.

وأخيرًا الميم: المكسور المجهور المتوسط بين الشدةِ والرخاوة، الحاصل بانطباقِ الشَّفتين، وانفتاحهما عند خروج النفس؛ وهذا يوحي بذات الأحاسيسِ اللمسِيّة التي تعانيها الشفتان لدى انطباقهما، من الليونة والمرونة الباسمة (للاستزادة: عباس، حسن،1998، 72).

إن لفظ (بِسْمِ)، هذا اللفظ الافتتاحي للقرآن، والأعمال والأقوال، يمنح المُبَسْمِل دعمًا نفسيًا يتجلى في حروفه، متلازمًا مع لفظِ الجلالة (الله)، المقترن بصفتي (الرَّحْمَن الرَّحِيْم)؛ لطلب الرحمة التي تجلب البَسْمة والاطمئنان، وبهذا تكتملُ الحركة الباسمة الهادئة الواثقة المطمئنة.

سادسًا: الإيقاع الموسيقيّ في أصوات البَسْمَلَة: وقد تجلَّى في الجوانب الآتية:

1. بروز الأصوات الأعلى موسيقيةً، وإيقاعًا في العربية، وهي: **جانبية اللام، وتكرار الرَّاء، وأنفية النّون، فاللَّام،** المرقّق المتكرِّر: مجهورٌ جانبيٌّ متوسِّطُ الشدة، يوحِي بمزيجٍ من الليونة والمرونة والتماسك والالتصاق، و**الرَّاء،** المتكرِّرة أربع مرات: صوتٌ مجهورٌ متوسطٌ بين الشدة والرخاوة، أما **النُّون،** فهي: صوتٌ أنفيٌّ مجهورٌ؛ يتم نطقه بجعل طرف اللسان متصلاً باللثة مع خفض الطبق ليفتح المجرى الأنفي، وإحداث ذبذبة في الأوتار الصَّوتيَّة.
2. (السِّين) صبغت البَسْمَلَة بملمحٍ موسيقيٍّ؛ صفيري المتميز، وتموجها الانسيابي اللطيف.
3. وبرزت الموسيقيَّة العالية في الوضوح السمعي والنطقي للبسملة، وتجردها من الأحرف الصعبة والثقيلة في نطقها، والرديئة في موسيقاها.
4. وتجلّت الموسيقية، في جنوح البَسْمَلَة نحو حركتي الكسرة والفتحة؛ الأسهل نطقًا والأقل جهدًا.

سابعًا: وضوحُ البَسْمَلَة السمعي، وسهولتها النطقية، ودوره في تعليم المبتدئين:

إن أول ما يشنِّف سمعك عند سماع البَسْمَلَة، هو الانسجام المطرب بين حروفها، فالبَسْمَلَة ذات وضوح سمعي عالٍ، وتتميز بسلاسة وسهولة نطقية عجيبة؛ لذا عملية التعلم للمبتدئين تبدأ بالبَسْمَلَة، وقصار السور.

ومن معالم وضوح البَسْمَلة وسهولتها؛ ما يأتي:

1. اشتمالها على أوضحِ صوامت العربية؛ ففيها (12) صامتاً رنَّانًا، هي: (ل+ ر+ م+ ن+ ب+ س).
2. اشتمالها على أعذب الأصوات والحركات، وأسهلها مخرجًا، وأكثرها شيوعًا، ففيها (12) حركةً للفتحة والكسرة؛ بنوعيهما الطويل والقصير، واشتمالها على أسهل الأصوات نطقاً؛ كالحروف الحلقية (ح+ هـ).
3. غلبة الأصوات المجهورة في البَسْمَلَة بواقع (14) صوتًا مجهورًا، على الأصوات المهموسة، والأصوات المجهورة أسهل نطقًا من المهموسة، فالأحرف المهموسة مُجْهدةٌ للتنفس.
4. خلوّها من الأصوات المضخَّمة؛ كحروف الاستعلاء (خ+ ص+ ض+ غ+ ط+ ق+ ظ)، كذا الهمزة والقاف.
5. خلوّها من الأصوات المتنافرة، المتقاربة في المخرج والصفة، كتتابع أصوات الحلق مثلًا.

المبحث الثاني: جماليَّاتُ التوزيع المقْطعي للبَسْمَلَة

الأصلُ المعياريُّ في كتابة البَسْمَلَة إملائيًا **(بِاسْمِ اللَّاهِ الرَّحمانِ الرَّحِيْم)**، فحُذفت الألف ثلاث مرات؛ لكن الكتابة المقطعية لا تتأثر بهذا الحذف؛ لاعتمادها في الكتابة على ما يلفظُ لا ما يكتب، وعليه فالبَسْمَلَة تبدأ بمقطع متوسط مغلق (بِسْ) ورمزه (ص ح ص)، وتنتهي بمقطع طويل مغلقٍ (حِيْم) ورمزه (ص ح ح ص)، والمقصود بهذه الرموز المقطعية ما يلي: (ص) صوت، و(ح) حركة، وتأتي أهمية دارسة المقطع للبسملة في منح النطق الصحيح للأصوات والكلمات، والنغمات والوقفات بالتدرج، وهذا يزيد من سرعة نطق الحدث الكلامي، وفي البَسْمَلَة تسعةُ مقاطع صوتيَّة، تتوزع حسب الجدول الآتي:

جدول رقم (4): بيان توزيع المقاطع على البَسْمَلَة

المقطع	رمزه	نوعه	المجموع الكلي للمقاطع
بِسْ	ص ح ص	متوسط مغلق	**ص ح ص** = 5
مِلْ	ص ح ص	متوسط مغلق	**ص ح ح** = 2
لَاْ	ص ح ح	متوسط مفتوح	**ص ح** = 1
هِرْ	ص ح ص	متوسط مغلق	**ص ح ح ص** = 1
رَحْ	ص ح ص	متوسط مغلق	**المجموع** = **9**
مَاْ	ص ح ح	متوسط مفتوح	
نِرْ	ص ح ص	متوسط مغلق	
رَ	ص ح	قصير مفتوح	
حِيْمْ	ص ح ح ص	طويل مغلق	

ومن الجدول رقم (4) نستنتج: إن البَسْمَلَة اشتملت على تسعة مقاطع، بدأت بمقطع مغلق (ص ح ص)، وانتهت بمقطع مغلق أقل شيوعًا؛ هو (ص ح ح ص)؛ لكنهما متفقان في الإغلاق، وكلها من المقاطع الشائعة في الكلام العربي، الأكثر سهولةً ومرونةً، وهذا ما أكده د. إبراهيم أنيس. (أنيس، 1979، 165).

إيحاءات الحركة المقطعية للبَسْمَلَة:

أولًا: الانزياح إلى المقطع المغلق، وإيحاءاته: إذا عدنا إلى التحليل المقطعي للبسْملة في جدول رقم (3)؛ نجد أن البَسْمَلَة قد بنيت على المقطع المغلق الذي اكتسحها عددًا ونوعًا، فمن ناحية العدد فإننا نجد أن المقطع المغلق (ص ح ص) قد غلب على بقية المقاطع بواقع (5) مقاطع، من أصل (9)، وهذه النسبة كبيرة إذا ما قيست بغيرها، ومن ناحية النوع استهلت البَسْمَلَة بمقطعٍ مغلق (ص ح ص)، واختتمت بمقطعٍ مغلق (ص ح ح ص)، وقد عمل هذا المقطع بسماته وخصائصه الصَّوتيَّة على تحقيق نوع من التلوين الصوتي، والتأليف الموسيقي الذي يؤثر في نفس المتلقي، وأوحى بسماته الصَّوتيَّة الإغلاقية على التأكيد والمبالغة والتميُّز والحزم في اتخاذ قرار إغلاق الاستعانة بالله وحده، وهذه السمات اكتسبها المقطع من إغلاقه، فجاءت مقاطعُ البَسْمَلَة منسجمةً مع معانيها ودلالاتها.

ثانيًا: الوضوح والسهولة المقطعية، ودورها التعليمي: وهذا يعود إلى قصر مقاطعها، وسلاسة ترتيبها، بما يحول بين اللسان وتعثره عند قراءتها وتعلُّمِها وخصوصًا للمبتدئين، فلا يوجد تتابع لثلاثة مقاطع قصيرة أو أكثر، وهذا يعين على سلامة النطق من أي عيوب، فضلًا عن المهارة الصَّوتيَّة الموسيقية وبراعة النبر والتنغيم، وضبط المخارج والصفات.

ثالثًا: النبر والتنغيم في مقاطع البَسْمَلَة: إن مقاطع البَسْمَلَة الموسومة بالعلامة المذكورة، (بِسْ/مِلْ /لَا /هِرْ /رْحْ /مَا /نِرْ /رَ /حِيمْ)، هي التي يقال لها المقاطع المنبورة، كما أن تحولات المقاطع وتبدلاتها، وتنوعاتها، بين المتحرك والساكن والعكس، قد أعطى نسيج البَسْمَلَة نبرًا وتنغيمًا وانسجام متموجًا جميلًا، وعند التأمُّل في تحليل مقاطعها السابقة؛ فإنها تتكون من تسعة مقاطع تتحول بين ساكن هادئ النبر في مستهل البَسْمَلَة وختامها، إلى متحرك مرتفع النبر، على النحو التالي:

الأول والثاني: مقطعان ساكنان، **(بِسْ)**، و**(مِلْ)**.

والثالث: مقطع متحرك، **(لا)**.

والرابع: مقطع ساكن **(هِرْ)**.

والخامس: مقطع ساكن **(رح)**.

والسادس: مقطع ساكن **(ما)**.

والسابع: مقطع ساكن **(نر)**.

والثامن: مقطع متحرك **(ر)**.

التاسع: فهو مقطع ساكن **(حيم)**.

إذن قد يحدث انشطار لبعض الحروف عند النسج؛ فالشطر الأول يذهب مع المقطع التالي؛ ليكون نهايته، والشطر الثاني يذهب إلى بداية المقطع التالي، كما هو الحادث في (لام) لفظ الجلالة؛ فالشطر الأول منها كون

مقطع (مل)، والشطر الثاني كون مقطع (لا)، وكذلك الحادث في (الراء) في كلمة (رحمن)؛ فالشطر الأول ذهب مع مقطع في كلمة سابقة(هر)، والشطر الثاني ابتدأ به مقطع (رح)، والراء أيضًا بين كلمتي الرحمن الرحيم، (نر) (ر)، ويلاحظ أيضًا أن ألف التعريف قد اختفت عند النسج كما هو الحادث في لفظة الجلالة (الله) (بس/مل/لاه).

إن ما أحدثه التشكيلُ المقطعيُّ من إيقاعٍ موسيقيٍّ مألوفٍ ومنسجمٍ مع سهولتها اللفظية والمعنوية، ليس على مستوى الحرف (س) فحسب، بل في تَجَمُّع المقاطع الصَّوتيَّة الشائعة، وتنوعها بين الطول والقصر مع غلبة المقاطع القصيرة، والبدء والانتهاء بحرفين شفويين ومقطعين مغلقين، مما أحدث توافقًا موسيقيًا مخرجًا وصفةً ومقطعًا، تستهويه الأسماع بلا خللٍ أو نشاز، وتطرب له الآذان، وتتفاعل معه القلوب.

يقول ابن جنى عن تنوُّع موسيقى الحروف تبعًا لطول المقاطع أو قصرها: "تختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها، ألا ترى أنك تبتدئ الحرف من أقصى حلقك، ثم تبلغ به أي المقاطع شئت، فتجد له جرسًا ما، فإن انتقلت عنه راجعًا منه، أو متجاوزًا له، ثم قطعت، أحسست عند ذلك صدى غير الصدى الأول (ابن جني، 1985، 6/1).

المبحث الثالث: جماليَّات فاصلة البَسْمَلَة الميميَّة

الفاصلة القرآنية (رأس الآية) التي انتهت بها البَسْمَلَة، هي الميم، وهو صوتٌ شفويٌّ أنفيٌّ مجهورٌ يتمُّ نطقه بإطباقِ الشفتين تمامًا؛ فيحبس خلفه الهواء، ويخفضُ الطبق؛ ليتمكن الهواء من الخروج عن طريق الأنف مع حدوث ذبذبة في الأوتار الصَّوتيَّة، وبقاء اللسان في وضعٍ محايد (عبد التواب، 1997).

واختيار الفاصلة الميميَّة أضفى على البَسْمَلَة بُعدًا جَماليًّا إيقاعيًّا؛ لكي تسير على نغمةٍ صوتيَّةٍ متموّجةٍ منسجمةٍ من حيث الأداء والإيقاع، يسترعى الانتباه، ويحرك العواطف؛ للأسباب الآتية:

أولاً: لأنّ الميم صوتٌ متميزٌ عن غيره من الأصوات بملامح صوتية رشحته للتميز، منها أنه أنفيٌّ من حروف الغُنَّة، والغُنَّة: إطالة؛ لصوت الميم بتردُّدٍ موسيقيٍّ محبّبٍ، وبذلك تمثل الغنة ملمحًا إضافيًا يزيد من قوة الأصوات وعذوبتها وجمالها، والميم ينتمي أيضًا إلى الأصوات الرنانة، وهي أصوات ذات وضوح سمعي عالٍ، مما جعل فاصلة البَسْمَلَة مشحونة بقوة إسماعية نفّاذة، تطرب لها الأذُن، ويتميز أيضًا بسهولة النطق وخفة الأداء؛ لأنه من أصوات الذلاقة، ومن ناحية آلية الانتاج تنتمي الميم إلى الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة؛ لانتظامها شيئاً من خواصهما معًا، وبعضهم يسميها (البينية)، وهذه الأصوات تُلائِم جوَّ التوجيه والإرشاد، يقول حسن عباس: "ويخرج الميم بانطباق الشفتين على بعضهما بعضًا في ضمة متأنية وانفتاحهما عند خروج النفس...فضمُّ الشفة على الشفة بشيء من الشدة والتأني، قبيل خروج صوت الميم يمثِّل الجمع والضم، أما انفراج الشفتين أثناء خروج صوت الميم فهو يمثل ..التوسع والامتداد" (عباس، حسن،1998، ص170)، وهذا يناسب طلب القرب من الله ومعيته، واللجوء إلى كنفه من جانب، والتوسع في طلب العون والهداية منه من جانب آخر، والميم حرف شفوي يجمع الناطق به شفتيه، فوضعته العرب علمًا على التثنية والجمع(أنتما، أنتم)، وألحقته بلفظ الجلالة بدل ياء النداء عند الدعاء (اللهمّ)، كما أن إيحاء الحرف بالمرونة منسجم مع فاصلة البَسْمَلَة الميمية في الـ(رحيم) فالرحمة بين

الكائنات؛ تستلزم المرونة والليونة – جلَّ ربي عن مشابهة المخلوقين– كما أن استقامة الطريق تريح السالك فيه من التخبط في الوعثاء والتعسف في السير.

ثانيًا: إيقاع الفاصلة الموسيقي المنسجم مع استهلال البَسْمَلَة البائي الشفوي المطبق بإغلاق الشفتين، فجاءت فاصلتها الختامية متناغمة بحرفٍ شفويٍّ أكثر إغلاقًا هو الميم؛ ليتناسق مستهلُّها مع فاصلتها الختامية، وكما ختمت فاصلتُها بمقطعٍ طويلٍ مغلق (حِيم)، ورمزه (ص ح ح ص)، فقد كان مستهلُّها أيضاً مغلقاً بالمقطع القصير المغلق (بِسْ) ورمزه (ص ح ص)، لتأكيد الإغلاق صوتيًا ومقطعيًا وفاصلةً، وهذا يعطيها وظيفة دلالية معنوية، خلافًا لمن اقتصر على وظيفتها الجمالية الموسيقية فقط؛ كتمام حسان (حسان، تمام، 1993، 258).

ويرى الباحث أن فاصلة البَسْمَلَة لم تأتِ من أجل الصنعة البديعية فقط، بل جاءت منسجمةً ومتآلفةً ومتناغمةً مع موضوع البَسْمَلَة، ودلالتها، فمعنى البَسْمَلَة تقييد استهلال القول والعمل بِسْمِ اللهِ وحده، حصرًا وإغلاقًا، بانكسار وخضوعٍ وتواضعٍ، ولا يخفى ما في فاصلة البَسْمَلَة من السدِّ والإغلاق؛ فحازت على الجمال اللفظي البديعي والمعنوي الرفيع، وهذا ما أكَّده الرماني بقوله: "الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع تُوجِبُ حسن إفهام المعاني؛ لأن الفواصل تابعة للمعاني، والأسجاع هي قلب توجيه الحكمة في الدلالة؛ إذ كان الغرض إنما هو الإبانة عن المعاني؛ لأن الحاجة إليها ماسَّة" (الرماني، 1984، 97).

فالأمر عند الرمَّاني يتوقف على المعنى، وقوله (توجب) أي أن الأساس في تمام الفاصلة هو تمام المعنى، بحيث يؤدي إلى إيصال الرسالة، وإفهام المعنى المراد من هذه الرسالة التواصلية، وأمَّا قضية التزيين اللفظي للفاصلة فهو أمر ثانوي.

المبحث الرابع: جماليات الانسجام الصوتي في البَسْمَلَة

الانسجامُ الصوتيُّ هو انزياح الأصوات المتجاورة في الكلام إلى التقارب والتلاؤم في الصفة والمخرج؛ تسهيلًا للأداء، ونزوعاً إلى التوافق الحركي؛ لكي لا ينتقل اللسان من ضمٍّ إلى كسرٍ إلى فتح، أو العكس، واقتصادًا في الجهد المبذول (العطية، 1983، وأنيس،1979، 287)؛ فتتفاعل هذه الأصوات إمالةً وإدغامًا وتفخيمًا وترقيقًا ووقفًا ومدًّا، ويبرز التفاعل في منطوق البَسْمَلَة الموحي بالتقارب، وحسن التعامل بين أكثر من عنصر؛ لتوجيه الدلالة وتنويعها.

جدول رقم (5): يلخِّص أبرز مواضع النبر والانسجام في البَسْمَلَة

الظاهرة	الإمالة	ادغام المتماثلين	إدغام المتقاربين	التفخيم	الترقيق	الوقف
موضعها	الله/الرحمن	الله	الرَّحمَن/ الرَّحِيْم		الله	تامٌّ / حسن.

ومن خلال الجدول رقم (5)، نقف على الظواهر الآتية في البَسْمَلَة:

أولًا: الإمالة والبناء المعنوي: الإمالة هي انزياحٌ وجنوحٌ بالفتحة نحو الكسرة، أو بالألف نحو (الياء) قليلًا أو كثيرًا، والغرض منها التيسير واقتصاد الجهد، والبُعد عن الثقل، وتمكين اللسان من السير المتوازن من دون عرجٍ ولا عرقلة، من غير تصعُّدٍ بعد تسفُّلٍ، أو تسفُّلٍ بعد تصعُّد، ولدينا في البَسْمَلَة **إمالتان:**

الأولى: في لفظ الجلالة، ورويت عن علي كرم الله وجهه.

والثانية: في (الرحمن)، ورويت عن قتيبة وأبي عمرو (الخولي، محمد، 1987، 56)،
والألف فتحةٌ طويلةٌ غير مبالغٍ فيها بجنوحٍ إلى الياء، وتشذُّ الإمالة في لفظ الجلالة في القرآن، ولكنها لغةٌ من لغات العرب فصحت، أم قلّ فصاحتها، وأعتقد أن **الإمالة في لفظي (الله) و(الرحمن)**، تدل على شيئين، هما:
الأول: الدلالة على أنهما لفظان مشتقّان، عربيَّان؛ خلافاً لمن عدهما من العبرانية أو السريانية؛ لأن الأسماء المتمكِّنة عربيًا هي التي تطالها الإمالة.
والثاني: في الإمالة ربطٌ لوظيفتها الصَّوتيَّة وهي الخفة والتنغيم الهادئ؛ بالوظيفة المعنوية للبَسْمَلة، وهي الجنوح نحو الكسرةِ المائلة، التي تتناسب مع انكسار العبد وتوسله وتضرعه، فجوُّ البَسْمَلَة كلُّه جوُّ كسرٍ عددًا ونوعًا – كما أسلفنا؛ لأن كلّ لفظ جُعِلَ للبدء به يتطلب قراراً في نطقه، ونعني بالقرار ما يقابل (الجواب) في منظور علم النغم، وهو علمٌ يبحث في طبقات الصوت عاليها وسافلها، فالبدء (القرار) يكون بطبقةٍ سافلةٍ خافتةٍ، والجواب يكون في أواسط الكلام (ابن خالويه، 9).

وانزياح الألف نحو الإمالة التنغيمية؛ يلفتُ الانتباه إلى هامشيّة الألف بين حروف المدِّ، وعدم قبوله اللين والصلابة التي تحملها (الياء والواو)، وذلك سرُّ انزياحه وإمالته إلى الياء نطقًا، وفي المقابل انزياحه إلى التفخيم الواوي في الرسم القرآني؛ للدلالة على أصله الواوي في (الحيواة والزكواة والربوا)؛ ولذلك كتبته المصاحف واوًا في مجمل المواضع (سيبويه، 1991،4/3).

ثانيًا: الإدغام والنبر التنغيمي: الإدغام هو الإدخال والتقريب، بأن يلتقي حرفان متماثلان، أو متقاربان؛ فيلجأ المتكلم إلى إدغامهما؛ بغية تحقيق إنتاجية الصوتين (قدوري، 2002، 226)، لتحقيق(الانسجام/الخفة/التيسير)، وإراحة النفس من عناء الثقل المصاحب لحركة اللسان صعودًا وهبوطًا؛ وقد برز الإدغام في البَسْمَلَة في جانبين هما:

الأول: إدغام المتماثلين؛ في كلمة واحدة، هي لام (الله)، وإدغام المماثلة أقصى درجات التأثر؛ لأن الصوت الأول يفنى وينصهر ويندمج في الصوت الثاني (أنيس،1979،187)، ومع اختلاف اللغويِّين في أصل كلمة (الله)، بين (إله، وإلاه، ولاه)، لكنهم متفقون على إدغام اللامين.
والثاني: إدغام المتقاربين: وتمَّ رصد ظاهرة إدغام المتقاربين؛ في إدغام راء (الرَّحمَن، الرَّحِيْم)، واندماجها مع لام المعرفة الشّمسية، ولهذا يُسمى بـ(الإدغام الشمسي) (الحرازي، د.ت،1721)، حيث تتفاعل لام التعريف بما بعدها، من أصوات شمسية؛ كالصفير والأسنان والأصوات المائعة (ر/ل/م)، فتدغم؛ فيها للمقاربة في المخرج (عبد التواب، د.ت،30)؛ فالمتكلم حين يتكلم ويضغط على موقعٍ خاصٍّ من الكلمة ينتجُ عنه إدغام؛ ليجعله بارزًا، أوضح في السمع مما عداه من مقاطع الكلمة، وهذا الضغط هو الذي يسميه المحدثون من اللغويين بالنبر (عبد التواب، 1997،103).

ثالثًا: ترقيق لام لفظ الجلالة: تُرقَّقُ لام لفظ الجلالة في البَسْمَلَة؛ بسبب الكسرة في آخر الكلمة التي قبلها، والكسرة التي على آخرها (بسْمِ اللهِ)، وكلاهما كسرتا إعرابٍ مهمتان، فانزاحت الألف التي بينهما إلى الترقيق؛ ليتلاءم اللفظ

ويتعادل (ابن خالويه، د.ت،9)، مع أن الأصل في لام (الله) التفخيم، تعظيمًا وتفخيمًا لله تعالى؛ لكنها رُقِّقت اضطرارًا؛ لتنسجم مع جوّ البَسْمَلَة المنكسر الهادئ.

رابعًا: التفخيم: إن (الرَّاء) المفتوحة المتكرِّرة أربع مرات في (الرَّحمن الرَّحيم)، تنطق بنبرة مفخَّمة، عكس الترقيق، و(الرَّاء) في نظر المحدثين من أوضح الأصوات الساكنة في السمع، فهي تشبه اللام والنون والميم (أنيس، 1979، 199)، وفضيلة (الرَّاء) تكمن في التكرار؛ ولهذا قلَّ إدغامه في القرآن؛ حتى لا يفقد صفة التكرار التي تميزه (ابن الجزري، د.ت،12/2)، فهو صوتٌ مفصليٌّ؛ تحتاجه اللغة؛ كحاجة الجسم للمفاصل؛ ليمنحها مرونة وحيوية وحركة، ولولاه لفقدتِ اللغة الكثير من رشاقتها، وقد انطلق العربي من خاصيَّة التكرار والتمَفْصُل في صوت (الرَّاء)؛ فأدخله في معظم الأعضاء التي تتصل بمفاصل الجسم: (رأس، رقبة، رجْل، خصر، ورك، بصر، رئة)؛ فكما أنَّ هذه المفاصل تساعد الجسم على التحرك بمرونةٍ في كل الاتجاهات.

إنَّ حرف الرَّاء بمخرجه التكراري ورشاقة طرف اللسان في أدائه؛ قد قدّم للعربيِّ الصور الصَّوتيَّة المرئيَّة التي فيها ترجيع وتكرار (عباس، حسن،1998،84)، ويذهب د. جان كانتينو إلى أن الراء المرققة هي راء عادية، وأما الراء المفخمة؛ فهي ذات نطق خاص؛ فصوتها أقوى من صوت أختها؛ إذ تنطق كما لو كانت مضاعفة (كانتينو، 1969،76).

وقد اعتنى النحاة بضبط حالات تفخيم الراء، وذهبوا إلى أن تفخيم الراء يتولّد عن الجوار الصوتي، فهو إذن ظاهرة مقيدة، وتفخيم الراء ليس مستعلياً؛ لأنه لم يلحقها حرف من حروف الاستعلاء؛ لتنسجم مع جو البَسْمَلَة الهادئ الرقيق، فتفخيم الراء ذو أهمية صوتية صرفة (زكريا، فؤاد، 1980، 21).

خامسًا: المدُّ: ورد المدُّ الطبيعي بـ(الألف والياء) في كلمات البَسْمَلَة المحورية: (الله، الرحمن، الرحيم)؛ لإثارة الانتباه نحو الكلمات الممدودة، والمبالغة في تعظيمها لقدسيتها؛ ومد الألف والياء من أسهل الحركاتِ نطقًا؛ وهذا يحمل إيحاءً لطيفًا، انسجم مع الجانب الوظيفي للبَسْمَلَة؛ لأن الزيادة المدية؛ استدعت الزيادة في المعنى؛ وإثارة الانتباه نحو الكلمة الممدودة، وإضفاء جوّ التضرع والإخبات على البسملة؛ وهو المناسب للدعاء والتأوه وبثِّ الشكوى..

سادسًا: الوقف: والوقف على (بسم) **ناقصٌ قبيحٌ**، أمَّا الوقف على (بِسْمِ اللَّهِ) أو(بِسْمِ اللَّهِ الرحمن)، **فوقفٌ كافٍ** صحيح، أمَّا الوقف على رأس البَسْمَلَة (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ) **فتامٌّ**؛ والوقف على (الرَّحِيْم) يجوز فيه عند القراء: الإشباع والتوسط والقصر والروم، والسكون (الداني، 2002، 11).

والوقف يقوم بدور وظيفي في تحديد دلالات ما ينطق به، فالوقف بالسكون على الفاصلة الميمية حقق للبسملة الانسجام والاتساق؛ فقد نتج عن الوقف مقطعٌ ساكنٌ مغلقٌ هو (حيم)، ورمزه (ص ح ح ص)، وهو مقطعٌ قليلُ الشيوع؛ لكنه تلاءم مع فاصلة البَسْمَلَة المغلق الحازم الصارم معنويًا، فجاء السكون؛ ليخفف من صرامة الإغلاق، ويكسو البسملة روعةً وجمالًا وهدوءًا.

المبحث الخامس: حركة الميزان، والتباين الاشتقاقي في البَسْمَلَة

إن دراسة الصيغ الصَّرفيَّة للبَسْمَلة، وتغيراتها الاشتقاقية، وسيلة من وسائل الإثراء اللفظي، ومواكبة مستجدات المعاني؛ وإبراز دلالاتٍ تعبيرية جديدة؛ لأن البنية الصَّرفيَّة تتأثر بما يختلج في النفس من مشاعر وأحاسيس وانفعالات، والبَسْمَلَة وعاء لتلك الانفعالات عن طريق اختيار الكلمة اشتقاقًا ووزنًا ونحتًا.

جدول رقم (6): يوضح الميزان الصرفي لكلمات البَسْمَلَة

كلمات البَسْمَلَة	اسم	الله	الرحمن	الرحيم
الميزان الصرفي	افْعْ، اعْل	فَعَلَ أو فَعِلَ أو فَعَال	فَعْلَانْ	فَعِيْل

أفاض الباحثون القول حول اشتقاق ألفاظ البَسْمَلَة، وهي: (اسْم/ الله/ الرَّحمَن/ الرَّحِيْم)، وستعرض هنا لمحة خاطفة بما يتوافق ومساحة هذا البحث:

أولًا: اشتقاق(اسْم)، ووزنه الصرفي: اختلف العلماء في وزن (اسْم)؛ وفقاً لاختلافهم في أصلها الاشتقاقي؛ فمن جعل أصلها ثلاثيًا؛ فوزنها **(افْع)** عند البصريِّين، و**(اعْل)** عند الكوفيِّين، أما من جعل أصلها ثنائيًّاً **(سِم)** فلا وزن لها، وحاصل القول في أصل **(اسْم)** واشتقاقه، على ثلاثة مذاهب (ينظر: الأنباري، 2003، 180/1، والبجيرمي، سليمان، 1995، الشرتيني، د.ت، والنيسابوري، د.ت):

الأول: للبصريِّن، ويرى أن (اسْم) مشتقٌ من **السمُوّ**، وأصله (سَمو)، حُذفت لامه؛ للتخفيف، والسموُّ هو العلوّ والرفعة، وهو مناسبٌ؛ لأنّ التسمية تنويهٌ بالمسمَّى وإشادةٌ بذكره، وقيل؛ لأن اللفظ معروفٌ المعنى، والمعروفُ مُتقدِّمٌ على المعرَّف في المعلوميَّة، وعِلّتهم فيما ذهبوا إليه أن (اسْم) يجمع على (أسماء)، ويُصغَّر على سُمَي، والجمع والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها.

والثاني: للكوفيِّن الذين يرون أنه مشتقٌّ من **(الوَسْم)** وهي العلامة، والاسْم علامة توضع للشيء ليُعرف بها، وأصله (وسْم) إلا أنه محذوف الواو، وعوضت عنه الهمزة، ومن الواضح أنَّ الكوفيّن بنوا استنتاجهم على المعنى اللُّغوي؛ لأن الاسْم (وسم) على المسمى، وعلامة له يُعرف به.

أمَّا الثالث: فيذهب إلى أنّ اسْم **(ثنائيٌّ)** الأصل (ومذهب الثنائية له تقديره في الدراسات الحديثة، وخاصة الذين درسوا السامية ضمن علم اللغة المقارن، أمثال رمضان عبد التواب، ومحمود حجازي)؛ يقول حجازي: "وأثبت البحث المقارن أن الأصل ثنائي وهو (ش/م) في اللغات السامية الأم، بدليل أن الصيغ المختلفة ذات أصلٍ ثنائيٍّ، أما ألف الوصل؛ فكانت لجعل الكلمة مشابهة للألفاظ الثلاثية؛ لإحداث نوع من التوازن" (حجازي، محمود فهمي، د.ت،20).

ويخلص الباحث إلى القول: إنَّ لكلِّ مذهبٍ وجاهتُه التي يصعب على الباحث–بسبب ذلك – ترجيح أحد المذاهب على الآخر، فما ذهب إليه البصريون أكثر انسجاماً مع قوانين التصريف والاشتقاق، وما ذهب إليه الكوفيون أقرب إلى الواقع اللغوي، وأصحّ من حيث المعنى والدلالة، لكنه مخالف لأنظمة التصريف، والمذهب الثالث له دلالاتٌ كثيرة، فعند البحث عن الكلمة في اللغة الآرامية، نجد أن مفردة (ܫܡ)، تلفظ (شِم) (عبد التواب،

رمضان، 1983، 116)، وهذه تحملُ شحنةً من المعاني المتعددة والمتجاورة في المعنى والدلالة على السموّ والانتقال من الخفاء إلى الظهور، ومن المجهول إلى المعلوم.، فهي: (اسْم، أو سموّ، أو حجّة، أو علامة).

ثانيًا: اشتقاق لفظ الجلالة (الله)، ووزنه: اللَّه: وزنه: **(الْعَال)** وهو اسم ثلاثي مزيد بحرف واحد، بين العين واللام، محذوف الفاء، وحذفت منه اللام رسماً، وقد اختلف اللُّغويون في لفظ الجلالة من حيث الجمود والاشتقاق، فذهبت طائفةٌ إلى أنه جامد؛ لأن اسْم (الله) قديم لا مادة له يشتقُّ منها؛ فيستحيل الاشتقاق، وجمهور النحويين أثبتوا أنه مشتَقٌّ على وزن: (فِعَال) بمعنى (مفْعُول)، من: **أُلِهَ، يُؤْلَهُ**، وأصله: (الإله) حذفت منه الهمزة على غير قياس، فالتقى فيه، وهو كلمتان، مثلان هما اللامان، والأولى ساكنة، فأدغمت في الثانية، وهو إدغام صغير واجب، في اللفظ، واللام زائدة رسماً. (السفاريني، 1982، 301،).

وقد تَتبَّع حسين الهمذاني لفظ الجلالة، وقارنه مع نظيره في الساميات، فوجد أنه استعمل بلفظ (إلوه) بتوسع في العبرية، و(إلاه) في الآرامية، و(ألوها) في السريانية، و(الاه) في العربية الجنوبية، مما يدلُّ على أنه اسْم علم، وبهذا المعنى شاع، والكلمة الأصلية في اللغات السامية، هي "إل" ثم أخذت صوراً مختلفة.

ونرى أنه اسْم علم جامد عربي قديم، كأخواتها السامية، ولا يحتاج إلى اشتقاقٍ من "أله، أو "وله، يأله" (الرازي، 1957، 186).

وما ذهب إليه الهمذاني من أن أصل لفظ الجلالة "إل" له أصْل في كتب التفسير واللغة (روي عن سعيد بن جبير، قال(الإل) هو الله، وكان عبيد بن عمير يقرأ (جبرإل) بالتشديد، يعني عبد الله، وروي عن أبي بكر، أنه قال في كلام مسيلمة: "إنَّ هذا الكلام لم يخرج من (إلْ)، يعني من الله" (البغوي 319/2)، فالذي يرجح في هذه المسألة أنه اسْم مشتقٌّ من **(لاه)** ويستبعد اشتقاقه من (أله)؛ لأن كلمة (لاه) اختص بها الله عن غيره، وخصها لنفسه، فهي تدل على أن العبادة لله، وقد قرئ بها في الشواذ (الحمد لاه) (اللباب، 140/1)، أما أنه مشتقٌّ **من (إله)** فإن القرآن فرَّق بين (إله) وبين (الله)؛ فكلمة (الله) تدلُّ دلالةً واضحةً على الخالق سبحانه، أما (إله) فتدلُّ على المعبود، ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو﴾(الآية 163 من سورة البقرة).

ويضيف الألوسيُّ: "إن (الله) و(إله) مختلفان لفظاً ومعنى؛ أما لفظاً؛ فلأن أحدهما معتل العين، والثاني مهموز الفاء، فهما من مادتين، أما معنى؛ فلأنّ لفظ (الله) خاص به، و(الإله) ليس كذلك؛ لأنه اسْم لكل معبود (الألوسي،1415،58/1).

ثالثًا: الرَّحمَن الرَّحِيْم: وقد تشعَّب كلام الباحثين فيهما، ويمكن جمع هذا التشعُّب في ثلاث مسائل؛ هي:

الأولى: الميزان الصرفي: (الرَّحمَن) ووزنه **(فَعْلَان)**، و(الرحيم) ووزنه **(فعيل)**؛ فالأول مزيد بألفٍ ونون، والزيادة تدلّ على الكثرة والتأكيد والمبالغة، والثاني مزيد بياء المدّ؛ وفي المدِّ امتداد وتميز ومبالغة.

والثانية: الإطلاق والاشتقاق: فكلاهما اسمان لله تعالى اجتمعت فيهما العلمية والوصفية؛ إلا أن (الرَّحْمَن) خاص لا يجوز أن يطلق على أحد سوى الله، لا علمًا ولا صفة، بخلاف (الرَّحِيْم)، أما من ناحية اشتقاقهما؛ فقد انحصر الخلاف ما بين الصفة المشبهة، وصيغة المبالغة، ونرجح الصفة المشبهة؛ لانسجامها مع أسماء الله الحسنى، التي تفيد الثبات والدوام.

والثالثة: الدلالة، وفيها أربعة أقوال:

الأول: إنهما متساويان، وإنما جُمع بينها؛ لتأكيد اتصافه سبحانه بكمال الرحمة.

والثاني: يرى في (الرَّحْمَن) رحمةً عامة لجميع البشر، وفي (الرَّحِيْم) رحمة خاصة بالمؤمنين.

والثالث: يرى في **الرَّحْمَن** رحمة شاملة للدنيا والآخرة، وفي **الرَّحِيْم**، رحمة مقصورة على الآخرة.

والرابع: يرى في **الرَّحْمَن** دلالة على رحمته **في ذاته**، والرحيم تدل على رحمته **في فعله**. (القرطبي، 1995، 493، والسيوطي، 1969، 14/1).

ويرى الباحث: إن استعمال البَسْمَلَة للفظتين مختلفتين؛ لابدّ أن يكون له قصد وحكمة، ولا تعارض بين الأقوال السابقة؛ فكلٌّ فريق نظر من زاوية؛ بعضها زمانية، وبعضها خصوص وعموم، وهذا يتجلى في سياق البَسْمَلَة المتدرِّج، فقد ترقى في الترتيب بين: الله/الرحمن/الرحيم، ونعتبر القول الأخير أرجحها؛ يعزِّز هذا الاختيار؛ أن (الرَّحِم)، اشتقها الله من اسمه (الرَّحمَن)؛ نظرًا لطبيعة (الرحم) ووظيفته في ذاته؛ فهو أصلٌ للإنسان ومنبته، فبطن الأم هو الوعاء الذي تنبت به البويضة الملقّحة إلى أن يتمّ تكوّن الجنين (الفيروز آبادي، ج4، مادة رحم)، وجمعه (أرحام)، وبالتالي فهو الأصل؛ وهذا يولّد مفهوم (رَّحمة) و(رحيم)؛ فرحمة الأمّ بوليدها؛ تتولد من رحمها مع ولادتها، ومن اللائق هنا أن نذكر بأنّ من معاني كلمة (الأمّ) في العربيّة (الأصل)، أمَّا لفظة (الرَّحِيْم) فمع كونها تتضمّن مفهوم (العطف) إلاّ أنّ رحمة الله وسعت كلّ شيء، فهي رحمة متّسمة بالحكمة والعلم؛ وهذا ما خضعت له ترجمات البَسْمَلَة والْتزمتْ به.

المبحث السادس: جماليَّات التوزيع المورفيميِّ في البَسْمَلَة

المورفيم: يتصل بالنِّظام الصوتي، وإن كان تابعًا للنظام الصرفي، ويقصد به أصغر وحدة صرفية في بنية الوحدة اللغوية، تفيد معنى في الكلمة (خليل، إبراهيم، 2010، 155)، مثل المورفيم المقيَّد بـ(أل) مع (الله/ الرحمن/ الرحيم)؛ ليؤدي دلالات صرفية انزياحية خاصة باسم الله وصفاته، وقد ظهرت فكرة المورفيم في النظرية اللغوية الحديثة، لكي تحُلَّ محلَّ الكلمة التي بنى عليها القواعديون أصول نظريتهم، ويُقسَّم المورفيم في العربية إلى ثلاثة أقسام: (الحرّ/المقيَّد/الصفري).

وظائفه: قد تكون تعريفيَّة، أو تصنيفيَّة، أو توزيعيَّة (عبد الحليل، عبد القادر، 1998، 106)، ولا ضير من ذكر المزيد من تعريفات تلك المورفيمات، قبل إيضاح حركة توزيعها داخل البَسْمَلَة:

فأولها المورفيمُ الحرُّ: وهو عبارة عن وحدة مستقلة، مثل الضمائر المنفصلة، وجذر الكلمة الأصلي مثل: (سم) و(رحم) من (بِسْمِ) و(رحمن/رحيم)، وسمي بالحُرِّ؛ لسببين؛ هما: (خليل، إبراهيم، 2010، 177).

الأول: أنها تظهر وتستعمل في الكلام منفردة عن أي مورفيم آخر.

والثاني: أنها تستعمل في أي موقع من التركيب المختار.

يليه المورفيمُ المقيَّد: وهو كل وحدة متصلة بالكلمة، وقد يكون في بداية الكلمة مثل أداة التعريف، أو وسطها(حشو) مثل أحرف الزيادة، أو في نهايتها مثل الضمائر المتصلة.

والثالث المورفيمُ الصفريُّ: وهو الذي لا يوجد في الرسم الكتابي، وإنما هو الصورة الموضوعة في الذهن، ومن أمثلته في البَسْمَلَة، متعلق حرف الجر المحذوف المقدر بفعل أو باسْم، (أبتدئ، أو ابتدائي بِسْمِ اللَّهِ).

وقد أدرك علماء العربية القدامى القيمة الدلاليَّة للمورفيم، وأثره الواضح على إحداث المعنى وتغييره؛ لأن الاستبدال أو الإضافة أو الحذف للصوت والحركة؛ يؤدي إلى وجود كلمات جديدة، ويحدث تلونيات وتنوعات صوتية تمثل منعرجًا خطيرًا في سير العملية التواصلية بين الباثِّ والمتلقي؛ فابن جني كشف أن أحرف المضارعة وإن حملت قيَمًا متكافئةً في الإفادة، والدلالة على الحال، والاستقبال، لكنها تحملُ دلالاتٍ أخرى، إذْ كنّ دلائل على الفاعلين (ابن جني، 244/1).

وهنا بيان ما اشتملت عليه البَسْمَلَة :(بِسْمِ/الله/الرَّحمَن/الرَّحِيْم) من مورفيماتٍ في كلماتها الأربع، ونوع كلِّ مورفيمٍ، وترتيبه، ووظيفته:

جدول رقم (7): يوضِّح مسار توزيع المورفيمات على البَسْمَلَة

الكلمة	مورفيماتها	نوعه	ترتيبه	وظيفته	نوعها
بِسْمِ	**المتعلق المحذوف**	صفري	سابق	تصنيفية	
	الباء	مقيد	سابق	الجر	نحوية
	اسْم	حر	مُسْتقِلٌ	مفرد	صرفيَّة
	الكسرة القصيرة	مقيد	لاحق	الجر	نحوية
اللهِ	**إلاه**	حر	مُسْتقِلٌ	وظيفةٌ	صرفيَّة
	أداة التعريف أل	مقيد	سابق	التعريف	صرفيَّة
	تضعيف اللام	مقيد	أحشاء	التفخيم	صوتيَّة
	الكسرة	مقيد	لاحق	الإضافة	نحوية
الرَّحمَنِ	**رحم**	حر	مُسْتقِلٌ	فعل	صرفية
	أداة التعريف أل	مقيد	سابق	التعريف	صرفيَّة
	تضعيف الرَّاء	مقيد	أحشاء	التفخيم	صوتيَّة
	الألف	مقيد	أحشاء	الفاعلية	صرفية
	الكسرة	مقيد	لاحق	الجر	نحوية
الرَّحِيْم	**رحم**	حر	مُسْتقِلٌ	وظيفةٌ	صرفيَّة
	أداة التعريف أل	مقيد	سابق	التعريف	صرفيَّة
	تضعيف الرَّاء	مقيد	أحشاء	التفخيم	صرفيَّة
	الكسرة	مقيد	لاحق	الجر	نحوية
عدد مورفيمات البَسْمَلَة (17)					

ومن جدول توزيع المورفيمات رقم (7) نشاهد امتداد توزيع المورفيمات على مساحة بناء البَسْمَلَة اللغوي، امتدادًا أكسبها بناءً رفيعًا، ومرونةً حركيَّة؛ فقد اكتسح المورفيم المقيَّد بناء البَسْمَلَة بواقع (12) مورفيمًا؛ ليعطي البَسْمَلَة أدواراً وظيفية نحويَّةٍ وصوتيَّةٍ وصرفيَّة؛ مقيدةً بالصفات والخصائص؛ كالترقيق والإدغام والتعريف في لفظ الجلالة، وتضعيف الراء في (الرحمن الرحيم)، والإمالة في ألف الرحمن، يليه (**الحُرّ**) بواقع (4) مورفيمات؛ ليعطي البَسْمَلَة

حريَّةً ومرونةً في حمل الوظائف التقييدية، **أما الصفري**؛ فلم يظهر إلا مرة واحدة، لأنَّ وظيفته تصنيفيَّة توزيعيَّة؛ وتصنيف البَسْمَلَة فيه خلاف بين الاسمية والفعلية؛ لاختلاف متعلق الجار والمجرور المحذوف كما سيأتي.

المبحث السابع: جماليَّات النَّحت التداولي في البَسْمَلَة

التداوليَّة مصطلح أفرزته اللسانيات الحديثة؛ والقوة الإنجازية، أبرز مفاهيمها، ومعناها أن كل جملة يواكبها إنجاز فعل معين؛ كالتوجيه والإرشاد (البَسْمَلَة أنموذجًا)؛ للتعبير عن جانبي (الاستعمال) و(التفاعل) معًا، ودلالتهما في السياق والمقام وحيثيات الاستعمال والأفعال اللغوية، التي أصبحت جزءاً من دراسة الإنجاز (بتصرف يسير من: عبد الرحمن، طه، 2000، 27، ومقبول، إدريس، 2006، 236).

و(البَسْمَلَة) مصدرٌ متداولٌ منحوتٌ يختزل(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ)، بغية الاختصار والتخفيف والاقتصاد اللغوي؛ لتسهيل تداول المنحوت على الألسنة، والنحت صرفي؛ يدرجونه ضمن (الاشتقاق الكُبَّار)، وهو: "أخذ كلمة من كلمتين فأكثر مع تناسب بين المأخوذ والمأخوذ منه في اللفظ والمعنى"(بول، جورج د. ط، د.ت، 241)، ونحت البَسْمَلَة نحتٌ فعليٌّ، على الوزن الرباعي (فعْلل)، مثل معظم المنحوتات (القاسمي، علي، 2008، 436)، الدينية (سبْحل، حمْدل، حسْبل، حيْهل)، ونحت البَسْمَلَة من النوع الاستهلالي الناقص؛ حيت تم أخذ أول حرف من الكلمتين الأولى من كلمات البَسْمَلَة الأربع، أمَّا النحت الاستهلالي العادي؛ فهو الذي يؤخذ الحرف الأول من كل كلمات الجملة؛ إما من البداية بالترتيب، مثل(حماس) اختصارًا لـ(حركة المقاومة الإسلامية)، وإمَّا من النهاية بالمقلوب؛ بحيث يستهلُّ بحرف الكلمة الأخيرة، ثم الثانية ثم الأولى وهكذا؛ مثل؛ (فتح) اختصارًا لـ(منظمة التحرير الفلسطينية).

والنَّحت من آليات توليد الألفاظ، ويعكس تنوع العربية ومرونتها، واستجابتها لمقتضيات العصر، ونخلص إلى أن أبرز مقاصد نحت (البَسْمَلَة)، ما يأتي:

أولًا: تفعيل القوة الإنجازية في البَسْمَلَة: وقد اكتسبت البَسْمَلَة قوة الإنجاز، بتاريخها الطويل (زمنيًّا)، وتوظيفها في الميادين المعرفية (لغويًّا)، وبما شُحِنت به من إيحاءات (دلاليًّا)، وما راكمته من علاقات مفهوميَّة (تداوليًّا)، وبهذا أضحت لفظًا يحسب له موقعه بين سائر الألفاظ، وصارت الدلالة فيه عميقة متشعِّبة، مكوِّنًا دائرةً دلاليَّةً تداوليَّة، واللفظ الذي يكون على هذه الصفة، يكون أهلًا لأن يُنَاط به مصطلحٌ جميلٌ يختزله، ويُفَعِّلُ قوة إنجازه اللغوي بطريقة سلسة محكمة، فكانت (البَسْمَلَة)، وعندما تحدث التداوليون عن نظرية أفعال الكلام، جعلوا القوة الإنجازية للتلفظ، هي الروح التي تسري في القول، فيصير بها فعلًا وعملًا منجزًا؛ ولأن البَسْمَلَة تحمل قوة الإنجاز القولي والفعلي؛ لم تتركها لغة القرآن لعوادي الزمان، وتقلُّب الحدثان، بل جعلتها حاضرة في وعينا اللغوي، ضمانًا لاستمرارية هذا المتن اللغوي، وتوحيدًا له بين الأجيال المتلاحقة، في سلسلة طويلة ممتدة، تمتد عبر القرون، وتخترق الزمن ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا، فالبَسْمَلَة من الألفاظ التي تداولها الناس من قبلنا كما نقرأ في رسالة سليمان عليه السلام لملكة سبأ؛ وبذلك يتحقق النسب اللغوي بين متكلمي هذه اللغة، فالوحدة اللغوية، من وحدة الأمة وسر قوتها.

ثانيًا: تلبية الغرض التواصلي للبَسْمَلَة: لقد كانت الحاجةُ إلى نحت (البَسْمَلَة) حاجةً تواصليَّةً تداوليَّةً اجتماعيَّة دينيَّة متجدِّدة؛ وهذا الغرض التواصلي، لا يتحقق إلا بمجموعة من الشروط التداولية، يحضر فيها السياق حضورًا مركزيًا، مستدعيًا مكوناته من المتكلم والمخاطب والمقام، بحيث يصبح السياق متحكمًا في دلالة اللغة ومقاصد الخطاب، واللغة مع الغرض التواصلي، كالمجرى مع الماء، فلا زال الماء يتطلب مجرى له، ويسلك في ذلك المسالك المتاحة، حتى يشق لنفسه مجرى معتادًا، ومن هنا تضطر اللغة أن تدخل في متنها اللغوي، ألفاظًا جديدةً، وذلك باعتماد ضروب من الاقتراض والوضع والنحت والتأليف، على أن تجعل الألفاظ الجديدة منسجمة مع سائر ألفاظ تلك اللغة، وهي بذلك توفر مجتمعًا لغويًا منسجمًا، ونسقًا موحدًا، وضربًا من الكلام المتفق أواخره وأوائله.

ثالثًا: تسريع القوة الإنجازية: سلكت العربية آلية (النحت)؛ لتسريع قوة الإنجاز لـ(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ)، وهو بابٌ طريفٌ من اللغة، سمح بإنتاج البَسْمَلَة، والتحوُّل من:

البنية السطحية ← **(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ)** إلى البنية العميقة المنحوتة← **(البَسْمَلَة)**.

والأخيرة تحمل دلالاتٍ لا تتوافر في صياغة البنية السطحية المعتادة، فالـ(بَسْمَلَة) اختزلت البدايات كلها؛ وأعطتها بعدًا تداوليًا مختصرًا اقتصاديًا سهلًا ميسورًا، منح القارئ بعدًا تحفيزيًا على التفاعُل الإيجابيِّ البنّاء؛ ليغوص في قلب البَسْمَلَة، متجاوزًا بناءها الخارجي إلى بنيتها العميقة، التي تحمل دلالاتٍ وإيحاءاتٍ؛ تفتح أمام القارئ استثمار منجزات التأويل، وتحيله إلى قراءات شتى؛ وبهذا يكون النحت عنوانًا يتوكأ عليه القارئ لمعرفة خبايا البَسْمَلَة، ومفتاحًا لربط العلاقة بين النحت ومحتواه.

المبحث الثامن: جماليَّاتُ التَّلَازُمِ التَّرْكِيبِيِّ فِي البَسْمَلَة

شكَّلت الشبكة التواصليّة النَّحويَّة، حركةً دائبة داخل آية البَسْمَلَة؛ وقد اشتملت على تلازماتٍ نحويّةٍ بارزة، كالتلازم بين الجار والمجرور ومتعلقه؛ وبين المضاف والمضاف إليه؛ سعيًا إلى تحقيق الانسجام والاتساق والترابط بين معناها ومبناها، وقبل الحديث عن التلازم في البَسْمَلَة، نشير _بشكل مقتضب_ إلى بعض قضايا البَسْمَلَة؛ لتعلقها ببعض القضايا الألسنية التي تتعلق ببحثنا؛ كالتلازم، وهذه أبرز القضايا:

1. **قضية متعلَّق الجار والمجرور**؛ والاختلاف الواسع بين اسميته وفعليته وتقديمه وتأخيره:

جدول رقم (8): يوضِّح متعلق الجار والمجرور في البَسْمَلَة

متعلّق الجار والمجرور (بِسْمِ):			
اسْم متقدم	فعل متقدم	اسْم متأخر	فعل متأخر

فالأول: يرى أن المتعلق **(اسْم)** متقدِّم، (ابتدائي بِسْمِ اللهِ).

و**الثاني:** يرى أن المتعلق **(فعل)** متقدِّم، (أبدأ بِسْمِ اللهِ).

و**الثالث:** يرى أن المتعلق **(اسْم)**؛ لكنه متأخِّر، أي: بِسْمِ اللهِ ابتدائي.

و**الرابع:** يرى أن المتعلق **(فعل)**؛ لكنه متأخِّر _أيضًا_ بِسْمِ اللهِ أبدأ، فالرأي الأول للبصريين، والثاني للكوفيِّين (النحاس، 2001، 14/1)، وكلا الفريقين ذهب إلى أن المحذوف متقدِّمٌ، إلَّا أن الزمخشريّ خالف الفريقين فقدره

فعلًا متأخِّراً عن البَسْمَلَة، واتفق معه الرازي والزركشي (الرازي، 1998، 99/1) وبعض المتأخرين، وحاصل الكلام أن المتعلق المحذوف يجوز أن يكون اسمًا أو فعلًا؛ متقدمًا أو متأخرًا.

2. **قضية التعدد الإعرابي في البَسْمَلَة**، لا سيَّما (الرحمن)، أوصلتها كتب الإعراب إلى تسعة أوجه، أعرضنا عنها؛ لاحتياجها إلى بحث مستقل، وتحدثنا عن ظاهرة القطع، والتلازم والتماسك والحذف، ونستهل القول بالتلازم في البَسْمَلَة:

أولًا: التلازم بين المتعلِّق والمتعلَّق في البَسْمَلَة: المتعلِّق الجار والمجرور(بسم)، والمتعلَّق المحذوف المقدَّر، من الظواهر المتلازمة، فإذا ذُكر شبه الجملة، فلا بُدَّ من ذكر متعلقه ملفوظًا أو مضمرًا محذوفًا، وقد سبق العربُ الغربَ في الدراسات الألسنية الحديثة في التأصيل لهذا التلازم النصِّي، فالجرجاني سماه (التعلُّق) في نظرية النظم، ويرى أن الكلام لا يمكن أن يأتي مفكّكًا لا علاقة بين أوله وآخره، وسابقه ولاحقه، بل لا بدَّ من العلاقة التي تربط الكلام وهذه العلاقة والتعلق تكون نابعة من المعنى لا من النص (الجرجاني، 1989، 69)، وابن منقد سماه (الحبك) الذي يأخذ بعضه برقاب بعض (ابن منقذ، 1996، 131)، والجاحظ سماه: السبك (الجاحظ، 1985، 5/1)، وسماه ابن أبي الأصبع: الانسجام (المصري، ابن أبي الأصبع، د.ت، 167) ...

وقد برز أول أنماط التلازم التركيبي في البَسْمَلَة بين المتعلِّق والمتعلَّق، اسمًا أو فعلًا، متقدمًا أو متأخرًا.

ثانيًا: التلازم بين المتضايفين في (بِسْمِ اللهِ): وتخلَّل البَسْمَلَة تركيبٌ إضافيٌّ تفاعلي نحوي، متلازم؛ فالمضاف والمضاف إليه، كالشيء الواحد؛ لشدة تلازمهما.

ففي تعبير (بِسْمِ اللهِ) هناك تفاعلٌ على مستوى المعنى؛ فالمعنى الشاسع لكلمة (بسم) أصبح محددًا بكلمة (الله) تابعًا له، وهذا ردٌّ على من اعتبر المضاف (اسْم) مُقحمٌ زائد، وهذا بعيد؛ لأن الاسْم في (بِسْمِ اللهِ) من إضافة الاسْم إلى المسمَّى (البغدادي، 1997، 307/4)، وهذا التلازم صبغ الإضافة بلمحٍ بلاغي، هو إيجاز القصر بإضافة العام للخاص، أضفى على البَسْمَلَة خصوصية مقدسةً؛ لانزياحها إلى التخصيص بإضافة لفظ الجلالة ﴿الله﴾ من دون بقيّة أسماء الله وصفاته الكثيرة، ولعل سر هذا التخصيص بلفظ الجلالة، والاقتصار عليه؛ يكمن في أن لفظ الجلالة (الله) خاصٌّ به تعالى، وهو اسم جامع، لا يقوم مقامه اسم آخر مطلقًا؛ لأنه يتضمن جميع الأسماء والصّفات، فعندما تقول: بِسْمِ اللهِ، كأنك قلت: بِسْمِ اللَّهِ الرّحمنِ والرّحيمِ، والعليم والسّميع والرّزاق... الخ، أمّا إذا قلت: بِسْمِ الرّحمن مثلًا؛ فلا تكون الاستعانة أو البداية إلاّ بالرّحمن فحسب.

ثالثًا: التلازم بين النعت والمنعوت: النعت والمنعوت طرفان متلازمان؛ وهذا يعني أنّ الصلة الدلالية بين النعت والمنعوت شبيهة برابطة الشيء بنفسه، وقبل الحديث عن التلازم التركيبي بين النعت (الله)، والمنعوت (الرحمن الرحيم)، نشير إلى التتابع المتلازم بين ثلاثة من أسماء الله الحسنى، في البَسْمَلَة، وهي: (الله_الرحمن_الرحيم)؛ وهو تلازم تركيبي أشار إليه النحاة، وهو في حدِّ ذاته إعجاز، أعطى البَسْمَلَة من المزية والفضل ما جعلها مفتتح الحياة.

ففي تقديم لفظ الجلالة (الله) المنعوت، انتقالٌ من الأصل إلى الفرع، ومن الخاص إلى الأقل خصوصية، وقد أبدع الرازي في التطرق لهذا التسلسل المتتابع، من منبع الحياة إلى مبدئها إلى معادها، حيث يقول: "فاسم (الله)

منبع الخلق والإيجاد والتكوين والإبداع، واسم (الرحمن) يدل على التربية في معرفة المبدأ، واسم (الرحيم) في معرفة المعاد؛ حتى يُحترَز على ما لا ينبغي، ويُقدَّم ما ينبغي" (الرازي، د.ت، 178/1)، فهو تتابع حميمي، مترابط الدلالة، كما أسهب اللغويون في معانيه، مبينين الفوارق المعنوية، ومدى كون هذا التتابع بليغًا متمِّمًا بعضه، واضعًا أبلغهما في البداية؛ لإرساء تلك الصفات بكمالها، وجلالها، وتمامها، وديمومتها، واستمرارها أزلًا وأبدًا لله رب العالمين.

رابعًا: تلازم (ال) مع (الله) و(الرحمن): التعريف من أهم عوامل انسجام النصِّ وتماسكه، وجميع أسماء الله في البَسْمَلَة جاءت معرفة محدّدة بوسيط تعريفي؛ إمّا بالإضافة (بِسْمِ اللهِ)، أو بـ(ال) مع (الله/الرحمن/الرحيم)، والتعريف له وظيفة التصنيف المتفرد في التراكيب اللغوية؛ حيث يرى الجرجاني أن السرَّ في التلازم التركيبي بين (الألف واللام) والمعرفة، يتجاوز ما يراه النحاة من تحويل النكرة إلى المعرفة، إلى الربط بين الجمل ربطًا يشبه الإحالة بالضمير؛ لأنها تذكِّر القارئ بشيءٍ سبق ذكره، أو شيء معروف في الذهن جرى الكلام عليه أو الإشارة له في السياق (الجرجاني، 72).

لكن يجب التنبيه، إلى أن (ال) في لفظ الجلالة متلازمة مع مبنى الكلمة الشريفة نفسها لا تنفك عنه أبدًا، وهي علامة على أن اسم الجلالة معرفة، لكننا لا نستطيع أن ننزع من اسمه الألف واللام؛ لتنكيره؛ لأن الله لا يصحُّ مطلقًا أن يكون نكرةً، بل هو أعرف المعارف؛ لذلك كانت الألف واللام جزءًا متلازمًا مع اسم الله لا تنفكُّ عنه، و(الرحمن) المعرف خاص بالله، أما (الرحيم)؛ فيجوز أن يتصف بها الإنسان؛ فهي أقل بلاغة من الرحمن المعرفة؛ لأنها أخصُّ من النكرة، إذ المعرفة أقل احتمالًا لغير المراد من النكرة، ومن هنا جاء الفرق بين (رحمن) النكرة العام في إطلاقه، و(الرحمن) المعرفة، خاص به تعالى، فخرج بذلك من سمَّى نفسه زورًا (رحمان اليمامة)، ثم إن الوصفين الشريفين (الرحمن الرحيم) معرفان؛ لأنهما يعودان على اسم الجلالة (الله)، وهذا أعطى لهما قيمة بيانية، لتأكيد الانسجام التلازمي في البَسْمَلَة.

المبحث التاسع: جماليَّات الانزياح إلى القطع في البَسْمَلَة

القطع في البَسْمَلَة هو انزياحٌ عن السمتِ الإعرابي المألوف في نعت (الرحمن) التابع المجرور إلى الرفع أو النصب، وهي ظاهرة أسلوبية جديرة بالالتفات والاهتمام، وتأتي؛ لغرض بلاغيّ محض، وهو التشويق وتوجيه الأذهان إلى النعت المقطوع لأهمية فيه، تستدعي مزيداً من الانتباه إليه، وتعلق الفكر به (حسن، عباس، د.ت 468/3).

فنحن نقرأ بقراءة الجمهور المشهورة بجرِّ (الرحمنِ الرحيمِ) على أنهما نعوتٌ؛ لغرض المدح والثناء، ويجوز إعرابهما بدلاً، على مذهب من لا يجيز في (الرَّحمَن) أن يكون نعتًا؛ كونه وصفًا خاصًا، وكون البدل على نية تكرار العامل (الأندلسي، 1998، 43/1)، لكن هذا الإتباع في البَسْمَلَة قد يُقطع إلى حركة مغايرة، فيها مفاجأة للسامع، تقتضي تنبيهه وإيقاظ ذهنه إلى الحركة المغايرة التي غيرت المعنى، وقد لخصنا تعدد قراءات البَسْمَلَة في الجدول التالي (الأندلسي، 1998، 35/1):

جدول رقم(9): يوضّح مسار تعدد القراءات في البَسْمَلَة.

القراءة	القارئ	طريقة القراءة
الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ	قراءة الجمهور	بالكسر؛ على أنهما نعت.
الرَّحْمنَ الرَّحِيْمَ	زيد بن علي، وأبو العالية، وابن السميفع	بالفتح، بالنصب على المفعولية للمدح
الرَّحْمنُ الرَّحِيْمُ	أبو رزين العقيلي والربيع بن خيثم وأبو عمران الجوني	بالضم، برفع الرَّحمَن على أنها خبر لمبتدأ محذوف والرَّحِيْم نعت للرَّحمن

وعند التأمل في الجدول السابق رقم (9) نلحظ انزياح قراءات البَسْمَلَة من الاتباع النعتي بالكسر (الرَّحمنِ الرَّحيمِ)، إلى القطع **بالرفع** في قراءة من قرأ (الرَّحمَنُ الرَّحِيْمُ)، فتعرب: خبراً لمبتدأ محذوف تقديره: هو الرَّحمَنُ، هو الرَّحِيْمُ، **وبالنصب** في قراءة من قرأ (الرَّحمَنَ الرَّحِيْمَ)، فتعرب: مفعولاً به لفعل محذوف تقديره: أمدحُ الرَّحمَن، وأمدحُ الرَّحِيْمَ.

وهنا برزت ظاهرة النعت المقطوع وهو انزياح الكلمة من حال النعت التي كانت عليها إلى حالةٍ أخرى مخالفةٍ لها، لا تسمَّى فيها نعتًا، فقد انقطعت صلتُها بالنعت، بل يسمونها نعتًا مقطوعًا أو منقطعًا، يقصدون أنها كانت في أصلها الأول نعتاً، ثم انقطعت منه، وانزاحت إلى شيء آخر، يسمى (القطع)، ونشير إلى أنَّ: قطع النعت في مقام المدح؛ أكثر تحقيقاً لمقاصده، وأبلغ من إجرائه على نسق واحد مع المنعوت؛ **لسببين هما:**

الأول: أن المخالفة في الإعراب أبلغ في تحقيق المقصد، لأنَّ المعاني عند الاختلاف تتنوع وتتفنَّن، فإذا اتحدت كانت نوعاً واحداً.

والثاني: أن الانزياح نحو القطع، ينقل الجملة، ويحوِّلها من جملة بسيطة إلى جملة مركبة؛ تكون اسمية؛ عند القطع إلى الرفع، أو فعلية؛ عند القطع إلى النصب؛ فتصبح جملتين؛ وزيادة المبنى تؤكد زيادة المعنى، ثم إن القطع إلى الرفع أبلغ وأثبت وأشهر، فإذا قلنا: بِسْمِ اللهِ الرحمنُ؛ دلّ ذلك على اشتهاره بهذه الصفة واستقرارها ورسوخها وتمكنها منه أشد وأكثر، من قولنا: بِسْمِ اللهِ الرحمنَ، بقطع النعت إلى النصب، لأن الاسم المقدر أثبت وأقوى وأظهر، من الفعل (السامرائي، فاضل، 172/3).

وأخيرًا نؤكد أن إشادتنا بالقطع، لا يعنى ترجيحه على النعت في البَسْمَلَة، فالحركة الإعرابية لا تكفي وحدها لبناء الدلالة، بل يضاف إليها الواقع أو السياق الاجتماعي كما تتدخل في ذلك اعتبارات نفسيّة؛ وهنا تظل قراءة الجر هي الأنسب والأرجح؛ لتماشيها مع معنى البَسْمَلَة وما فيه من السهولة والخفة والهدوء، فالكسرة تناسب انكسار العبد وانجراره وتوسله إلى ربه، بينما قراءة الرفع؛ تتحقق من خلالها دلالة الإخبار، وقراءة النصب تتحقق من خلالها دلالة المفعولية، والسياق هو الذي يحكم الموقف.

المبحث العاشر: جماليَّات الانزياح التوليديّ التحويلي في البَسْمَلَة

إنَّ انزياح البَسْمَلَة عن معياريَّة القواعد الصارمة؛ وسيلة تعبيرية قصدية، وتقنية أسلوبية، تسمح بالتصرف في البنية التركيبة للبَسْمَلَة حذفًا وزيادة وتقديمًا وتأخيرًا وتنغيمًا وإمالةً، استجابة لمتطلبات المقام، وهو اكتمال دائرة تفردها وتوحُّدها شكلًا ومضمونًا، وهذا ما تلبية مدرسة تشومسكي التوليدية التحويلية؛ لامتلاكها طاقات حيوية

محركة، تمنح المتكلم حرية التحويل؛ لتوليد معانٍ جديدة، سموها عناصر النحو التحويلي التوليدي، وأشهرها: الزيادة والحذف والترتيب والتوسع والتنغيم (المنصوري، أحمد، والصالح أسمهان، 2013، 334).

ومفهوم النظرية التوليدية التحويلية: "تحويل جملة إلي أخرى، والجملة المحولة عنها هي الأصل (البنية العميقة) والقواعد التي تتحكم في تحويل الأصل هي: (القواعد التحويلية)؛ لتحويل البنية العميقة الأساسية إلي البنية السطحية الملموسة التي تجسد بناء الجملة وصيغتها النهائية". (الخولي، محمد علي، 1981، 22).

وسندرس في البَسْمَلَة ثلاثة عناصر تحويلية؛ هي: (الحذف، والزيادة، والتقديم والتأخير)، نقلت البَسْمَلَة من الحياد إلى الأسلوبية، ومنحتها أغراضًا دلالية تشريعية؛ **فالزيادة**؛ لتوسيع المعنى، **والحذف**؛ للاقتصاد في المجهود الكلامي والعضلي، وتقليل الإنتاج، **أما الترتيب**؛ فغرضه المفاضلة بين المهمِّ والأهم، من ناحية التقديم والتأخير.

جملة البَسْـمَلَة التحـويلية المتأسلبة ← **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ**

جملة البَسْـمَلَة التوليدية المحايدة ← **أبدأ أو ابتدائي باسم الَّاه الرحمان الرحيم.**

والجدول التالي يوضح المسار التوليدي التحويلي في البَسْمَلَة:

جدول رقم (10): يوضِّح مسار الانزياح التوليدي في البَسْمَلَة

الكلمات	**بِسْمِ**	**الله**	**الرَّحمن**
موضع التوليد والتحويل	حذف الواو والألف/ حذف المتعلَّق وترتيبه.	حذف الألف/ وزيادة اللام	حذف الألف/ والحذف عند القطع إلى الرفع أو النصب

وقبل الحديث عن هذه الانزياحات التحويلية، نؤكِّد أنها انزياحاتٌ **(توقيفيّةٌ)** على الأرجح؛ لمنح البَسْمَلَة خصوصيات متفرِّدة في الشكل (الرسم)؛ تتلاءم مع خصوصيَّاتها المتفرِّدة في المعنى.

فالبَسْمَلَة ترتبط بالاسم الأقدس ﴿الله﴾ المتفرِّد بأسرار لا يحيط بها إلا هو، ونحن لا نستطيع أن نحيط بشيء من ذلك إلا بما أذن الله به،

وسنحاول الإشارة إلى ما فتح الله به علينا من تلك الأسرار الانزياحية التوقيفية، التي لا نستطيع تعديلها وفق ضواط الرسم القواعدي المعياري، بمعنى أنه يجب علينا أن نقف عند حدود ما ورد منها شرعًا، من دون زيادة أو نقصان أو تغيير في مبناها؛ كما فعل المشركون حين حرفوا أسماء ﴿الله﴾ وأطلقوها على أوثانهم، فاشتقُّوا اللات من الله، والعزَّى من العزيز، ومناة من المنَّان، ولذا فإنَّ الأصوات الداعية إلى تطوير الرسم القرآني باءت، وستبوء بالفشل، **فالانزياحات التوليدية، هي:**

أولًا: الانزياحات الصَّرفيَّة: وبرزت انزياحات الصرف في (الحذف والزيادة)؛ على النحو التالي:

1. **حذف الواو من لفظ (اسْم):** اختلف النحاة في أصل كلمة (اسْم)، فذهب البصريّون إلى أن أصلها (سِمْوٌ)، أما الكوفيون فقالوا أصلها (وسم)، وفي كلا الرأيين حدث حذف الواو من الكلمة ثم سكنوا أوله (البجيرمي، 1995،

220/1)، وأدخلوا عليه همزة الوصل عوضاً عن المحذوف؛ لوصل الكلام لتعذر الابتداء بالساكن؛ لأن من دأبهم أن يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن (الشرتيني، د.ت،6/1).

2. **الحذف في لفظ الجلالة:** لفظ الجلالة (اللَّهُ)، أصله (إِلَاهٌ) على وزن (فِعَالٍ)، فحُذفت الهمزة وعُوض عنها بأل، وهو ما نَقله سِيبَوَيْهِ عَنِ الْخَلِيلِ، بينما قَالَ الْكِسَائِيُّ وَالْفَرَّاءُ: أَصْلُهُ الْإِلَاهُ، حَذَفُوا الْهَمْزَةَ وَأَدْغَمُوا اللَّامَ الْأُولَى فِي الثَّانِيَةِ فصارتا لاما مشدَّدة (الشرتيني، د.ت،6/1).

3. **زيادة لامين في لفظ الجلالة** ﴿الله﴾: اتفق علماء اللغة على أن يكتبوا ﴿الله﴾ بلامين مخالفين بذلك القاعدة في رسم الكلمات المماثلة في التلفُّظ مثل: الذى، والتى، مع التماثل في اللفظ، ولزوم التَّعريف، وكثرة الاستعمال؛ وذلك لأمور منها:

الأول: خشية الالتباس بين (الله) و (إله)؛ فلو كُتِبَ (الله) بلام واحدة؛ لالتبس بلفظة (إله) والتفرقة بينهما واجبة؛ لاختلاف معناهما.

والثاني: التفخيم والتعظيم، وقد جاء لفظ الجلالة هنا مرققًا في اللفظ اضطرارًا؛ فلزم أن يفخَّم في الرسم، ووضع لامين أقرب إلى التفخيم من لام واحدة.

والثالث: الوصل والقرب: لأن (اللام) من حروف الوصل والقرب والالتصاق؛ ومجيئها في لفظ الجلالة؛ يبرز شدة قربه والتصاقه بعباده، **والرابع:** التفرُّد والتوحُّد؛ فانزياح لفظ الجلالة عن القواعد المعيارية يعطيه نوعًا من التفرد والتميز.

ثانيًا: الانزياحات التركيبية: وتجلَّت في البَسْمَلَة، في: الحذف، والتقديم والتأخير(الترتيب):

1. **الانزياح إلى حذف متعلَّق البَسْمَلَة:** وحَذْفُ مُتَعَلَّقِ الجار والمجرور في: (بِسْمِ اللهِ)، واجب في البَسْمَلَة على المشهور؛ والأرجح أن يكون المتعلَّق المحذوف فعلًا؛ لأن الفعل ألصق بالمقام؛ لأن الأصل في العمل أن يكون للأفعال، والفعل أيضًا أنسب اختصارًا واقتصادًا؛ إذ لو قدَّرناه (اسمًا)؛ لكان المحذوف ثلاثة أشياء، هي: المبتدأ، المضاف إليه والخبر، أمَّا مع الفعل؛ فيكون المحذوف شيئين، هما: الفعل+ الفاعل، وكلما كان التقدير أقل كان أنسب.

إن حذف متعلق الجار والمجرور له أسرارٌ، منها:

أولًا: لأن الحذف أعمُّ من الذكر، فالفعل إذا حذف صح الابتداء بالتسمية في كل عمل وقول.

ثانيًا: لأن الحذف يعطي القارئ فسحة لتقدير المحذوف، بِسْمِ اللهِ أقرأ، أكتب، أشرب.

ثالثًا: لأن الحذف يمنح المعنى ثراءً؛ كالإيجاز والاقتصاد اللفظي والتخفيف؛ لكثرة الاستعمال.

رابعًا: لأن الحذف يجعل اسم الله تعالى مُقدَّمًا؛ فلا يُقدَّم عليه شيء، ولو ذكر الفعل لكان خلافًا للمقصود.

خامسًا: لأن الحذف أبلغ؛ لأن المتكلم بهذه الكلمة؛ كأنه يدعي الاستغناء بالمشاهدة عن النطق بالفعل، وشاهد الحال أبلغ من شاهد المقال. (السهيلي، 1992، 43).

2. **الانزياح إلى تأخير الفعل المتعلَّق:** الراجح أن يكون المتعلَّق المحذوف فعلًا، وأن **يكون هذا الفعل مُتـــــأخِّرًا؛** لإفادة الاختصاص والحصر والاهتمام، والتَّبْرك والتعظيم، فلا يتقدم على اسم الله شيء، وقد وُصِفَ التقديم

والتأخير؛ بأنه انزياح في بنية التراكيب الأساسية؛ لإكسابها الدقة والمرونة وحرية التصرف في الرتب لغايات بلاغية (مطلوب، أحمد، 1987، 41).

ثالثًا: الانزياح الإملائي: إن الانزياح الإملائي بحذف (الألف) في ثلاثٍ من كلمات البَسْمَلَة الأربع؛ هو أشهر انزياحات البَسْمَلَة، وأكثرها وضوحًا واستعمالًا؛ لأن الألف حرف فصل وعلة، يفصل بين أجزاء الكلام: (باسم اللاه الرحمان)، وهذا يتنافى شكليًا مع معنى البَسْمَلَة في طلب الوصل والقرب من الله، فضلًا عن هامشيّة الألف بين حروف المد، وعدم قبوله اللين والصلابة التي تحملها (الياء والواو)، وهذا الضعف وعدم الأصالة جعله يترنح بين الحذف والإمالة، مع دلالات أخرى، ونجمل انزياحات الكتابة في البَسْمَلَة، في العنوانات التالية: (الأندلسي، أبو حيان، 1982، 240، والزجاج، 2003، 50):

3. **الانزياح إلى حذف ألف (اسْم):** إن الانزياح إلى حذف ألف البَسْمَلَة؛ يحملُ إيحاءاتٍ عدَّةٍ، منها:

الأول: لإبراز خصوصيَّة (بسم) المرتبطة بلفظ الجلالة دون غيره، فإذا اقترنت كلمة (اسم) بغير لفظ الجلالة ذكرت، تأمل: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ (الآية 1 من سورة العلق).

والثاني: لتنقية البَسْمَلَة من العيوب والعلل؛ لأن الألف حرف علة وفصل، فحذفت؛ إيحاء باستمرارية الاتصال بين المُبَسْمِلِ وبين الله؛ بدون فاصل شكلي أو معنوي.

والثالث: تخفيفًا واقتصادًا؛ لكثرة الاستعمال، وبعضهم يرى أنها حذفت منعًا؛ لاجتماع ساكنين، فالألف ساكنة غير منطوقة، والباء بعدها ساكنة.

4. **الانزياح إلى حذف ألف لفظ الجلالة:** اطّرد حذف ألف لفظ الجلالة (الله) على غير قياس، وذلك لخمسة أمور، هي:

أولًا: التخفيف والتيسير في الكتابة.

والثاني: كراهة اجتماع أربع متماثلات في لفظ الجلالة؛ ممدودة (الألفان)، ومستطيلة (اللامان)، وهذا ثقيل في الكتابة؛ كما كرهوا اجتماع الأمثال في النطق.

والثالث: التفرُّد والتوحُّد؛ لأن حذف الألف انزياحٌ عن النظائر المعيارية المماثلة في الكتابة، لكي لا يشتبه لفظ الجلالة في كتابته بـ(اللاة) الصنم المعروف، و(اللاه) اسم الفاعل من اللهو، فأسقط الألف؛ ليعطي للفظ الجلالة نوعًا من التفرد والاستقلال والتميز، كتابيًا ومعنويًا.

والرابع: حذفت الألف؛ لأنها من حروف الفصل؛ لتبقى حروف اسم الله متصلة غير مجزأة؛ لأن الله واحد أحد لا يتجزأ ولا يتعدد.

5. **الانزياح إلى حذف ألف (الرَّحمَن):** وقد انحصرت تعليلات اللغويين؛ لحذف الألف من (الرَّحمَن) بين: التخفيف، وكثرة الاستعمال، وأمن اللبْسَ، فأسقطت الألف؛ لإبراز تفرد (الرحمن) لأنه لا رحمان إلّا الله؛ ولأن الألف حرف فصل، والفصل ينافي الوصل والقرب من الرحمن في مضمون البَسْمَلَة، وحذف الألف من (الرَّحمَن) كتابيٌّ، لا صرفيٌّ؛ لأنها تظهر في وزن الرَّحمَن (الفعلان)، والوزن الصرفي يدلنا على المحذوفات والزوائد، فلو كانت الألف محذوفة حذفًا صرفيًا؛ لقيل في وزن الرَّحمَن (الفَعْلَن).

6. **الانزياحات الجمالية في خط البَسْمَلَة:** إن انزياحات الخطَّاطين عند كتابة البَسْمَلَة، بخط مغاير؛ لخصوصيات البَسْمَلَة الاعتبارية والشكلية؛ تعظيمًا لمكانتها؛ لأنها تشكل مستهلًا، وحاجزًا فاصلًا بين سور القرآن، وتشغل سطرًا مفتوحًا من الناحية البنائية؛ وهذا الموقع منحها مركزًا سياديًا، وثقلًا شكليًا اعتباريًا في الصفحة القرآنية من ناحية الحجم واللون، فضلًا عن المكان والجمال، كان عمر بن عبد العزيز يقول لكتَّابه:" طوِّلوا الباء، وأظهروا السين، وفرجوا بينهما، ودوروا الميم تعظيمًا"(الثعلبي، 2002، 200/1)، ويعلل بعضهم لتطويل الباء، أنه عوضٌ عن الألف المحذوفة، فيكون بمقدار نصفها؛ ولأنه نال الشرف؛ كونه أول حرف يستهلُّ به القرآن؛ فتطويله من قبل التعظيم والتفخيم؛ لاتخاذه قدوةً في ابتداء الغرض الجديد من الكلام بحرف غليظ أو ملون.

النتائج

خلصت الدراسة إلى تفرَّد البَسْمَلَة بخصوصيَّاتٍ مُدهشة، وانزياحٍ تحويليٍّ مبهر في مظاهرها اللُّغوية والكتابية، يكتنفها قانون اختزالِ الجهد، والسهولة والتيسير، وقد توصل البحث إلى النتائج، الآتية:

أولاً: النتائج الصَّوتيَّة: تسير البَسْمَلَة على نغمةٍ صوتيَّةٍ منسجمةٍ مع كلماتها، متموجةٍ من حيثُ الأداء والإيقاع، فقد اشتملت على (18) صوتاً منطوقاً، و(19) صوتاً مكتوباً، واكتسحت أصوات الجهر والاستفال والمتوسطة، وغابت أصوات الاستعلاء والإطباق، و(12) صائتاً؛ للكسرة والفتحة، وغياب الضمة، و(4) كلمات، و(9) مقاطع، وهذا الإحصاء العدديّ الموزون، نتج عنه ما يلي:

1. جنوح البَسْمَلَة نحو الكسر والجر؛ لأن الكسر يتلاءم مع انكسار المتوسّل لمن توسّل له، والجرّ لمن انجرّ إليه؛ فاستهلت بـ(باءٍ) مكسورٍ بنائيًا، وخُتِمت بـ(ميمٍ) مجرورٍ إعرابيًّا، وفي البَسْمَلَة سبعُ كسراتٍ؛ أربعٌ منها كسراتُ إعرابٍ في كلِّ كلمات البَسْمَلَة، وكسرتان بنائيتان في باء(بِسْمِ)، وحاء(رحِيمِ)، وكسرةٌ طويلةٌ؛ في .(ياء) (الرحيم).

2. جنوح البَسْمَلَة في مبناها نحو الإغلاق المحكم، والتحصين المنيع، في أصواتها ومقاطعها وفاصلتها؛ لينسجم مع معناها في تقييد استهلال القول والعمل وإغلاقه على اسْمِ اللَّهِ وحده، حصرًا وقصرًا؛ فمن الناحية الصَّوتيَّة؛ استهلَّت بـ(الباء)، وخُتِمَت بـ(الميم) وهما صوتان شفويان مغلقان بإطباق الشفتين، وتَعزَّز الإغلاق بمقاطعها المغلقة استهلالًا (بسْ)، وختامًا (حِيْم)، وزادها إغلاقًا جماليًّا فاصلتها القرآنية الميميّة المغلقة.

3. دلالة (الباء والميم) على البدايات؛ لسهولتهما، واشتراك اللغات فيهما؛ فمنهما بداية نشأة اللغة؛ ومنهما اشتُقَّ أقرب شخصين (بابا وماما)، وبهما بدأت وانتهت البَسْمَلَة.

4. السين المهموس المرقَّق في البَسْمَلَة؛ يتواءم مع معناها السلس المتوسِّل؛ لأن المقامَ مقامُ تضرعٍ إلى رحمة الله، ورهبةٍ من مقامه، ورغبةٍ في عونه.

5. (الله) محور ارتكاز البَسْمَلَة؛ أسهل الألفاظ في نطقه يخرج من الجوف، ولا تنطق به الشّفاه لخلوّه من النّقط، وفي ألفه ولامه وهائه؛ البيان الشافي؛ فالألف في منطوقه دالٌّ على امتداد ملكوته وتفرده المستقل مكانيًا وزمانيًا، ثم (اللام) وهي صوتٌ دالٌّ على التماسك والقرب والالتصاق؛ معززةً بلامٍ زائدة على الرسم الإملائي؛ لتعزيز

خصوصيَّة قربه والتصاقه وتفرده سبحانه شكلًا ومضمونًا؛ ثم الـ(همزة) في أوله، والـ(هاء) في آخره؛ ومخرجهما من أقصى الحلق قريبًا من القلب؛ في إيحاء أن محل لفظ الجلالة ينبغي أن يخالط شغاف القلب والوجدان.

6. (الله) (الرحمن) خاصَّان بالله؛ لا يجوز إطلاقهما لأحد، وما قلناه في ألف لفظ الجلالة ينطبق على ألف (الرحمن)، فالألف أعطته صفة التفرد والاستقلال في إنعامه، وهذا لا يصْدُق على غيره؛ ولهذا فـ(الرحمن) خاصٌّ بالله، لا يجوز أن يطلق على غيره مطلقًا.

7. الألف الوسطي في اسمى (الله) و(الرحمن)؛ تؤدي دورها الدلالي نطقًا ممتدًا مستقلًا، لكنها حذفت كتابةً؛ لأنها من حروف الفصل؛ تفصل بين الحروف؛ وتؤدي إلى التجزئة والبعثرة الشكلية في الكتابة (اللاه/الرحمان)؛ وهذا يتعارض شكلًا مع أحدية الله، وصمديته؛ ورحمانيته؛ التي لا تتجزأ ولا تتعدد؛ ولا تنفصل، فحذفت الألف في الكتابة دون النطق؛ لتبقى أسماء الله متصلة؛ بدون ألف فاصلة.

8. جنوح البَسْمَلَة إلى صائتي الكسرة أولاً ثم الفتحة؛ الأسهل نطقًا والأقل جهدًا؛ لدعم إيماءات التفاؤل والاطمئنان؛ ولسانُ حالِ المُبَسْمِلِ يقول: ربِّاه إنني منكسِرٌ أمام عظمتك الممتدّة زمانًا ومكانًا، فافتح لي أبواب فضلك يا(فتَّاح).

9. خلوّ البَسْمَلَة من الضمة قصيرها وطويلها؛ لتعارضها مع معنى البَسْمَلَة، الهادئ المنكسر.

10. إن لفظ (بِسْمِ) النطقي، يتطابق مع الـ(بسمة) الفعلية، في مخارج الحروف وصفاتها؛ لمنح المُبَسْمِل دعمًا نفسيًا؛ معزَّزًا بلفظِ الجلالة (الله)، المقترن بصفتي (الرَّحْمَن الرَّحِيْم)؛ لاستجلاب الرحمة التي تجلب البَسْمة، وبهذا تكتملُ حركة البَسْمَلَة الباسمة الهادئة الواثقة المطمئنة.

11. جنوح البَسْمَلَة نحو الإيقاع الموسيقيِّ الهادئ؛ لبروز أصواتها الأعلى موسيقيةً، وإيقاعًا في العربية، وهي: جانبية اللام، وتكرار الرَّاء، وأنفية النّون، و(سينها) الصفيري المتميز، فضلًا عن وضوحها السمعي والنطقي، وتجردها من الصوامت الصعبة والثقيلة في نطقها، ثم صوائتها الأسهل نطقًا والأقل جُهدًا، وغلبة الأصوات المجهورة، والمتوسطة.

12. اشتملت البَسْمَلَة على (9) مقاطع، هي المقاطع الشائعة، والأكثر سهولةً ومرونةً، فانزاحت إلى المقطع المغلق، بواقع (5) مقاطع، من أصل (9)، فقد استهلت البَسْمَلَة بمقطعٍ مغلق (ص ح ص)، واختتمت بمقطعٍ مغلق (ص ح ح ص)؛ للتأكيد والحزم في اتخاذ قرار إغلاق الاستعانة بالله وحده، كما انزاحت إلى المقاطع القصيرة السهلة السلسلة بنبرتها التنغيمية؛ لتنهض بدورها التعليمي، بما يحول بين اللسان وتعثره عند قراءتها وتعلُّمِها.

13. فاصلة البَسْمَلَة الميمية الشفوية المغلقة؛ المتناغمة مع استهلال البَسْمَلَة البائي الشفوي المطبق بإغلاق الشفتين؛ لتأكيد الإغلاق صوتيًا ومقطعيًا وفاصلةً، وهذا يعطيها وظيفة معنوية.

14. برزت تفاعلات الانسجام الصوتي في منطوق البَسْمَلَة إمالةً وإدغامًا وتفخيمًا وترقيقًا ووقفًا ومدًّا، لمزيدٍ من التقارب، وحسن التعامل بين أكثر من عنصر؛ لتوجيه الدلالة وتنويعها.

ثانياً: النتائج الصرفيَّة: اشتملت البَسْمَلَة بجوار الاشتقاق والنحت، على (17) مورفيماً، منها (12) مورفيمًا مقيَّداً، و(4) حرَّة، ومورفيماً صفريًّاً، أعطت للبَسْمَلَة وظائف توزيعية تصنيفية متعددة.. ظهرت في النتائج التالية:

1. جنوح البَسْمَلَة نحو البنى الصرفية المختلطة بما في النفس من مشاعر وأحاسيس وانفعالات، عن طريق اختيار كلماتها اشتقاقًا ووزنًا ونحتًا وموقعًا(بسم/الله/الرحمن/الرحيم)، وشحنها بطاقاتٍ تعبيرية ثرة، تلائم المقام، وتعطيه ثبوتًا واستقرارًا؛ لأنها أسماءٌ، تليق بمقام الألوهية الثابت المستقر لله.
2. استعمال البَسْمَلَة لاسمين من أسمائه تعالى(الرحمن الرحيم)؛ له قصد وحكمة، من عدة زوايا، أهمها زاوية الخصوص والعموم، جوار لفظ الجلالة المركزي؛ فتدرج في ترتيبها من الخاص إلى العام: الله ←الرحمن ←الرحيم.
3. توزيع المورفيمات على مساحة بناء البَسْمَلَة اللغوي، أكسبها بناءً ممتدًا رفيعًا، ومرونةً حركية، ومنحها أدواراً وظيفية توزيعية تصنيفية؛ مقيدةً بالصفات والخصائص.
4. جنوح البَسْمَلَة، وسلوكها لآلية (النحت) التداولي والاقتصاد اللغوي؛ لتفعيل قوتها الإنجازية وتسريعها؛ تلبية للغرض التواصلي الاجتماعي الديني المتجدد.

ثالثاً: النتائج التركيبية: اشتملت البَسْمَلَة على ظواهر نحوية تركيبية متفردة، ومنها:

1. جنوح البَسْمَلَة نحو التفرُّد؛ باشتمالها على أنواع الكلمة في العربية؛ وهي: الاسْم (الله، الرَّحمَن، الرَّحِيْم)، والحرف وهو(ب) في بِسْمِ، والفعل المتعلّق المحذوف.
2. جنوح البَسْمَلَة نحو التفرُّد؛ باشتمالها على ثلاثة من أسماء الله، هِي: (الله، الرحمن، الرحيم).
3. جنوح البَسْمَلَة نحو التفرد باشتمالها على أنواع الجرِّ الثلاثة؛ الجرِّ بحرف الجر(بِسْمِ)، والإضافة (بِسْمِ اللهِ)، والتبعيَّة (الرَّحمَن الرَّحِيْم).
4. التَّلَازُمُ التَّرْكِيبِيُّ شكَّل حركةً دائبة داخل البَسْمَلَة؛ فقد اشتملت على تلازُمَاتٍ نحويّةٍ بارزة، كالتلازُم بين المتعلِّق (الباء) والمتعلَّق المحذف؛ وبين المضاف والمضاف إليه (بسم الله)؛ وبين النعت (الله) والمنعوت(الرحمن الرحيم)، سعيًا؛ لتحقيق الانسجام والترابط بين معناها ومبناها.
5. التلازم التفاعليُّ بين المتضايفين؛ صبغ البسملة بملمحٍ بلاغيٍّ، هو إيجاز القصر؛ بإضافة العام للخاص،
6. التلازم التركيبي بين النعت (الله)، والمنعوت (الرحمن)، وقبله التلازم بين (الله/الرحمن/الرحيم)؛ تلازمٌ حميميٌّ متدرجٍّ من الأصل إلى الفرع؛ لإرساء تلك الصفات بكمالها، وجلالها، واستمرارها أزلًا وأبدًا لله رب العالمين،
7. التلازم الحميمي بين (ال)، و(الله و الرحمن)، لا ينفكَّان أبدًا، لمنحهما التفرُّد والتوحُّد بالله حصرًا وقصرًا؛ لتأكيد الانسجام التلازمي الخاصِّ في البَسْمَلَة.
8. القطع في البَسْمَلَة من الإتباع النعتي المجرور إلى حركة مغايرة، وهي الرفع أو النصب، لغرض بلاغيّ محض، وهو التشويق وتوجيه الأذهان إلى النعت المقطوع لأهميةٍ فيه، تستدعي مزيداً من الانتباه إليه، وتعلق الفكر به.
9. الإشادة بالقطع، لا تعنى رجحانه على النعت في البَسْمَلَة، بل تظل قراءة الجر هي الأنسب والأرجح؛ لتماشيها مع معنى البَسْمَلَة وما فيه من السهولة والخفة والهدوء.

رابعًا: النتائج الانزياحية المشتركة:

1. انزياح البَسْمَلَة التحويلي عن معياريَّة القواعد الصارمة إملائيًا وصوتيًا وصرفيًا ونحويًا؛ وسيلة تعبيرية قصدية، وتقنية أسلوبية، نقلت البَسْمَلَة من الحياد إلى الأسلوبية؛ لاكتمال دائرة تفردها وتوحُّدها شكلًا ومضمونًا، ومنحها أغراضًا دلالية تشريعية؛ عبر(الحذف، والزيادة، والتقديم والتأخير)؛ فإملائيًا انزاحت البَسْمَلَة إلى حذف ثلاث ألفاتٍ(بِسْمِ، الله، الرَّحمَن)، وصرفيًّا انزاحت إلى حذف الواو من لفظ (اسْم)، من أصل وسم، وابدالها ألفًا، وزيادة اللام في لفظ الجلالة، وهي الكلمة المحورية في البَسْمَلَة وفي الحياة كلها، وتركيبيًا حُذف متعلَّق البسملة، وحُذف الضمير أو الفعل عند قطع النعت، وهذا المحذوفات أعطت للبَسْمَلَة خصوصيَّات لُغويَّة ودلالية، تحفز القارئ على استنباط المحذوف، أو تقديره، والسعي نحو معرفة السبب.
2. انزياحات البَسْمَلَة عن معيارية القواعد الإملائية انزياحاتٌ (توقيفيّةٌ) على الأرجح؛ لا نستطيع تعديلها وفق ضواط الرسم المعياري؛ لمنح البَسْمَلَة خصوصيات متفردة في الشكل (الرسم)؛ تتلاءم مع خصوصياتها المتفردة في المعنى.
3. انزياحات الخطَّاطين في كتابة البَسْمَلَة إلى خط جميل مغاير؛ مثل تطويل الباء، وإظهار السين، وتدوير الميم؛ لخصوصيات البَسْمَلَة الاعتبارية والشكلية؛ تعظيمًا لمكانتها.

المراجع

ابن الجزري، (د.ت). النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن جني، أبو الفتح عثمان، (1985). سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، ج1، دار القلم، دمشق.

ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، (1987). ت، محمد على النجار، ط4، المصرية العامة للكتاب.

ابن خالويه، (د.ت). مختصر في شواذ القرآن، من كتاب البديع لابن خالويه، عنى بنشره: ج. برجشتراسر، دار الهجرة.

ابن خلكان، (د.ت). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

ابن كثير، (1976). السيرة النبوية، ابن كثير، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

ابن منقذ، (1996). البديع في نقد الشعر، ابن منقذ، ت: أحمد بدوي الحلبي.

الأندلسي، أبو حيان، (1998). البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، ط1، دار الفكر، بيروت.

الأرسوزي، زكي، (1987). المؤلفات الكاملة، ط2، مج1.

الألوسي، شهاب الدين، (1415). روح المعاني، د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان.

الأنباري، أبو البركات، (2003). الإنصاف في مسائل الحلاف، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

الأندلسي، أبو حيان، (1982). المبدع في التصريف؛ ت: عبد الحميد طلبي، ط1، دار العروبة.

أنيس، إبراهيم، (1963). دلالة الألفاظ، ط 4، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر.

أنيس، إبراهيم، (1979). الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، نهضة مصر، القاهرة.

البجيرمي، سليمان (1995). حاشية البجيرمي في علم الخطيب، ط1، دار الفكر.

البغدادي، (1997). خزانة الأدب، البغدادي، ت: عبد السلام هارون، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة.
الثعلبي، أحمد، (2002). الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ت: ابن عاشور، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
الجاحظ، (1985). البيان والتبيين، الجاحظ، تح: عبد السّلام هارون، ط5، مكتبة الخانجيّ، القاهرة.
الجرجاني، عبد القاهر، (1989). دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر، د. ط، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
الجوزية، ابن القيم، (د. ت)، بدائع الفوائد، تح: على بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، مصر.
الحرازي، مهدي، (د.ت). بغية المريد في أحكام التجويد، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت.
الخولي، محمد علي، (1981). قواعد تحويلية باللغة العربية، ط1، دار المريخ، الرياض.
الخولي، محمد علي، (1987). الأصوات اللغوية، محمد الخولي، مكتبة الخريجي، ط2، الرياض.
الداني، (2002). المكتفي في الوقف والابتداء، الداني، ت: محيي الدين رمضان، ط2، دار عمار.
الرازي، فخر الدين، (1957). الزينة في الكلمات العربية، ت: حسين الهمذاني، ط2، دار الكتاب، القاهرة.
الرازي، فخر الدين، (1998). مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، ط3، بيروت.
الرماني، أبو الحسن، (1984). معاني الحروف، تح: عبد الفتاح شلبي، ط3، دار الشروق، جدة، السعودية.
الزجاج، أبو إسحاق (2003)، أربع رسائل في النحو، ت: عبد الفتاح سليم، د. ط، مكتبة الآداب، القاهرة.
العطية، خليل إبراهيم، (1983). في البحث الصوتي عند العرب، د.ت، سلسلة الموسوعة الصغيرة، دار الحرية، بغداد.
العلايلي، عبد الله (1968). تهذيب المقدمة اللغوية، العلايلي، ت: أسعد علي، د. ط،
السعران، محمود، (1992). علم اللغة مقدمة للقارئ، ط2، عالم الفكر، بيروت.
السامرائي، فاضل، (2000). معاني النحو، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن
السفاريني، (1982). لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار، ط2، مؤسسة الخافقين، دمشق.
السهيلي، (1943). نتائج الفكر في النحو، دار الكتب العلمية، ط2.
الشرتيني، (د.ت). السراج المنير في الإعانة على مفرقة بعض معاني كلام الله، مطبعة بولاق، القاهرة.
الفراهيدي، الخليل بن أحمد (د.ت). العين، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الهلال، د. ط.
الفيروز آبادي، (د.ت). القاموس المحيط، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
القاسمي، علي، (2008). علم المصطلح، أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، ط1، مكتبة لبنان، لبنان.
القرطبي، (1995). الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، ت: محمد حسين جبل، ط1، دار الصباحية للتراث، طنطا.
المصري، ابن أبي الأصبع، (د.ت). بديع القرآن، ت: حفني شرف، نهضة مصر.
المنصوري، أحمد، والصالح، أسمهان، (2013). الجوانب التحويلية في النحو العربي، أحمد، مجلة جامعة القدس المفتوحة، العدد(2)، شباط.

النحاس، (2001)، إعراب القرآن، النحاس، ت: عبد المنعم خليل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
النيسابوري، (د.ت) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ، ط3، ت: زكريا عمران، الطبعة العلمية، القاهرة.
بول، جورج د. ط، (د.ت). معرفة اللغة، تر: محمود فراج عبد الحافظ، دار الوفاء، الإسكندرية.
حجازي، محمود فهمي، (د.ت)، علم اللغة العربية، دار غريب، القاهرة.
حسان، تمام، (1993). البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ط1، القاهرة، عالم الكتب.
حسن، عباس، (1974)، النحو الوافي، دار المعارف، ط5، القاهرة، مصر.
حمادة، شوقي، (2003). معجم عجائب اللغة، شوقي حمادة، ط1، دار صادر، بيروت.
خليل، إبراهيم، (2010). مدخل إلى علم اللغة، إبراهيم خليل، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان.
زكريا، فؤاد، (1980). التعبير الموسيقي، د. فؤاد زكريا، ط2، مكتبة مصر،
سيبويه، (1991). الكتاب، ت: عبد السلام هارون، ط1، دار الجيل، بيروت.
عباس، حسن، (1998). خصائص الحروف، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
عبد التواب، رمضان، 1983، في قواعد اللغات السامية، رمضان عبد التواب، ط2، مطبعة الخانجي، القاهرة.
عبد التواب، رمضان، (1997). المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط3، مكتبة الخانجي.
عبد التواب، رمضان، التطور اللغوي مظاهره وعلله، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض.
عبد الحليل، عبد القادر، (1998). علم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل، العراق.
عبد الرحمن، طه، (2000). في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي.
علوم، نعيم، (1992). نحو الصوت ونحو المعنى، نعيم علوم، بيروت، ط1، المركز الثقافي.
قدور، أحمد، (1999). مبادئ اللسانيات، لبنان، دار الفكر، بيروت، لبنان.
قدوري، غانم، (2002). المدخل إلى علم الأصوات، غانم قدوري الحمد، منشورات المجمع العلمي، العراق.
كانتينو، جان، (1969). دروس في علم الأصوات، تر: د. صالح القرمادي، ب. ط.
مطلوب، أحمد، (1987). بحوث لغوية، أحمد مطلوب، ط1، دار الفكر، عمان.
مقبول، إدريس، (2006). الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، ط1، عالم الكتب الحديثة، الأردن.